القيم الخلقية في الفكر الإسلامي وأثرها في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق الإنسانية

إعداد الدكتور
مصطفى سليم السيد سليم
عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

القيم الخلقية في الفكر الإسلامي
وأثرها في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق الإنسانية

مصطفى سليم السيد سليم.
عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .
البريد الإلكتروني:mustafa012810@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى الحديث عن القيم والأخلاق المثلي التي تحقق الخير المحض للفرد والمجتمع في كل البيئات وفي جميع الحالات ، فامر الإسلام الحكيم بالفضيلة ورغب فيها لأنها خير يجب أن يطبق ويحقق ، ونهى عن الرذيلة وبغضها للناس لأنها شر يجب أن يترك ،لذا فإنه إذا تحققت الفضائل الخلقية التي حددها الإسلام الحكيم وطبقها بني الإنسان في جوانب سلوكه وشتى معارفه ومنهج تربيته ، يعيش في بحبوحة الأمن والسلام ، وانعدمت المشاحنات والضغائن ، وتعظم الصلات ، وقام البحث على بيان حقيقة القيم الخلقية ومفهومها ، والأسس التي قامت عليها ، وتحديد مسؤولياتها وأنواعها ، مع إبراز دور الإسلام العظيم في تقري وإثبات القيم والفضائل الخلقية وأثر ذلك في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق الإنسانية .

الكلمات المفتاحية : القيم الخلقية ، الفكر الإسلامي ، تقويم ، السلوك ، تهذيب، الأخلاق .

Moral values in Islamic thought
Its impact on correcting behavior and refining human morals

Mustafa Selim elsaid Selim.

Member of the Fatwa Committee of Al-Azhar Al-Sharif.

E-mail: mustafa012810@gmail.com

Abstract:

The research aims to talk about ideal values and morals that achieve the pure good of the individual and society in all environments and in all situations. The wise Islam commanded virtue and desired it because it is a good that must be applied and achieved, and it forbade vice and its hatred for people because it is an evil that must be abandoned. Therefore, if the virtues are achieved, The morality defined by the wise IslamHuman beings applied it in aspects of their behavior, various knowledge, and method of upbringing. They lived in peace and security, no quarrels and grudges, and no ties. The research was based on clarifying the truth of moral values and their concept, the foundations upon which they were based, and defining their responsibilities and types, while highlighting the great role of Islam in approving and proving , Values and virtues Morality and its impact on correcting behavior and refining human morals.

Keywords: moral values, Islamic thought, evaluation, behavior, refinement, ethics.

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين الحكيم، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام العظيم ديناً.

والصلاة والسلام على من خصه الله – سبحانه وتعالى – بجوامع الكلِم، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.

أما بعد:

فإن الإسلام العظيم؛ هو الذي كفل لنا الخير بكل جوانبه، حيث استن لنا "الأخلاق الْمثلى"؛ التي تحقق الخير المحض، للفرد، والمجتمع، في كل البيئات، وفي جميع الحالات. بل وفي كُل الأزمان والفترات والأوقات، فأمر الإسلام الحكيم بالفضيلة ورغب فيها، لأنها خير يجب أن يطبق ويحقق، ونهى عن "الرذيلة وبغضها إلى الناس، لأنها شر يجب أن يترك".

ولقد تسامى الإسلام العظيم وارتفع بفاعلى الخير، وتاركي الشر عن أن يتوقعوا جزاءً من الناس، لأن الجزاء الأوفى من الله تعالى وحده، كما سَما بهم – أي الإسلام– عن اتخاذ الخير سُلماً إلى شهرة أو مجداً أو مباهاةً أو تسلط أو شعورًا باللذة والاستمتاع، أو اجتلاب منفعة مادية عاجلة، أو بعيدة المنال، لأن الخير يجب أن يراد به وجه الله (سبحانه وتعالى).

والواقع: أن القيم الخُلقية، قد نالت عنايةً فائقةً واهتماماً بالغاً، من شتى العلوم الأصيلة والمعارف الحقيقية؛ والتي هي مصدر لعديد من التخصصات المهمة التي تستحوذ على كثير من فكر الإنسان ومنهجه في الحياة الدنيا، لينال بها سعادة الدارين: الأولى؛ والتي يقدم فيها جُل أعماله، والآخرة؛ التي فيها يحصد ما قدمه من أعمال– إن كانت خيراً فخير، وإن كانت شراً– والعياذ بالله فشر–، قال تعالى:﴿**وَأَن**

﴿ لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾[1].

ومن هنا: فإذا تحققت "الفضائل الخلقية" التي حددها الإسلام الحكيم؛ انطلاقاً من "النقل المعصوم" القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وطبقها بني الإنسان في جوانب سلوكه، وشتى معارفه، ومنهج تربيته، وبالجملة في كل مجالات حياته، فقد عرف –بكل صدق وثبات ويقين– مصدر الحقائق، ومعالم الفضائل، وخواص الأشياء التي يستمتع بها، وبذا، يرتع باستخراجها في بحبوحة الأمن والسلام، والفرح والسرور والسعادة، كما أنه يتسم بفضائل الأخلاق التي توجب لهم ميل الأفئدة وصفاء القلوب، وبالتالي: تنعدم بينهم المشاحنات، وتذهب الضغائن، وتعظم الصلات وتقوى وتعضد، فتجتمع الأيدي على الأعمال النافعة الخيرة، لصالح الفرد والمجتمع والأمة بأسرها، ويسود الحب والإخلاص والوفاء والمودة والتعاون على الخير والصلاح والفلاح والبر والتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ** ﴾ [2]؛ وبذا، ترقى الأمة في درج سعادتها الدنيوية والأُخروية.

وتأسيساً على هذا: فإنه لما كان موضوع "القيم الخُلقية" يتصدر بالغ اهتمام العديد من التخصصات الأصيلة للعلوم العديدة والمتفاوتة؛ والتي منها:" العلوم الدينية والعقدية، والأخلاقية، والفلسفية، والتربوية؛ التي تُركز على تقويم سلوك الإنسان وتهذيب أخلاقه، وكذلك العلوم الاجتماعية، وعلم النفس وما يتضمنه من تقييم وتقويم لمعالم الشخصية البشرية".

فلما كان الأمر هكذا، كان لابد من الاهتمام البالغ؛ القائم على البحث الدءووب، والدراسة المستفيضة لهذا الموضوع القيم والمثالي في نفس الوقت، والذي يخُص

(١) سورة النجم: الآيات: (٣٩- ٤٢).
(٢) سورة المائدة: من الآية (٢).

بني الإنسان في المقام الأول؛ وهو: "القيم الخلقية في الفكر الإسلامي، وأثرها في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق الإنسانية " وهذا الموضوع قد قسمته إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

- المقدمة: وهي التي بين أيدينا الآن، وأوضحت فيها أهمية الموضوع، البحث.
- والمبحث الأول: بعنوان:" التعريف بالقيم الخلقية" وبيان مفهومها وحقيقتها، والأسس التي قامت عليها، ثم تحديد مستوياتها وأنواعها.
- والمبحث الثانى : "دور الإسلام في: تقرير وإثبات القيم والفضائل الخلقية، وأثر ذلك في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق الإنسانية.
- وأما الخاتمة: فأسوق فيها: أهم النتائج المستخلصة من البحث، ثم الفهارس؛ والتي تتمثل في فهرس: المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

المبحث الأول

التعريف بالقيم الخُلقية بوجه عام

توطئة:

مما لا شك فيه أن موضوع "القيم "من الموضوعات التي تقع في دائرة اهتمام العديد من التخصصات المختلفة كالفلسفة والدين، والتربية والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وهذه الأهمية؛ التي تكتسبها هذه الميادين تترك المجال واسعاً للبحث حيث تنهج أساليب علمية مختلفة في تحديدها لأنها تخص الإنسان وعلى ذلك سوف نبدأ أولاً في: التعريف "بالقيم" وبعض المفاهيم المتعلقة بها.

أولاً: التعريف بالقيم في اللغة؛ وفي الإصطلاح:

١- التعريف في اللغة: "القِيمة، بالكسر: واحدة القيم، وما له قيمة: إذا لم يدم على شيء. وقومت السلعة واستقمته: ثمنته، واستقام: اعتدل، وقومته: عدلته، فهو قويم ومتقيم كما في قوله تعالى:" ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ "(١). أي الدين المستقيم، والقوام، كسحاب: العدل، وما يعاش به(٢).

كما جاء في الصحاح(٣):" أن القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، يقال: قومت السلعة".

وأهل "مكة" يقولون: استقمت السلعة، والاستقامة: الاعتدال. يُقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى:﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾(٤). أي: في التوجه إليه دون "الآلهة".

---

(١) سورة يوسف: آية رقم ٤٠.

(٢) القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفي: ٨١٧هـ، ص ١١٥٢، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفي: ٣٩٣هـ،ج٥، ص ٢٠١٨، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٤) سورة فصلت، آية رقم ٦.

وقومت الشيء: فهو قويم، أي مستقيم. وقولهم: ما أقومه، شاذ. وقوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (١).

والقوام: العدل. قال تعالي:﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(٢).

٢- **القيمة في الإصطلاح:** لقد تعددت الاتجاهات واختلفت المدارس العلمية في تحديد "مفهوم القيمة" ومن ثم فإن المعنى "الاصطلاحي للقيمة "يختلف باختلاف الاتجاهات والآراء، وسنحاول فيما يلي إبراز أهم هذه المفاهيم حتى نصل بعد ذلك إلى تحديد واضح لمفهوم القيم الإسلامية.

حيث نجدها في مجالات متعددة؛ منها: الاقتصاد، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والسياسة ،والرياضيات، والفنون، والمنطق، والتربية.

أ- **تعريف القيمة في "علم الأخلاق":** هي المثل الأعلى الذي لا يتحقق إلا بالعمل والعطاء ويُستأنس هذا المعنى من صفات:" القوة والشجاعة والصحة" وهي صفات تُعد من الفضائل الأخلاقية، التي تدل على قيمة الإنسان، وتُعد خاصية من خاصياته، وإذا ما فقدها، فقد فضيلته تماماً كما تفقد الأشياء خاصيتها، أي الطبيعية التي يتصف بها(٣).

وهذا التعريف يقصد به "القيمة الأخلاقية "وهي مجال هذه الدراسة ، وهي من أهم القيم الإسلامية المؤثرة في حياة الفرد لكونها تحدد نوع تعامله مع الغير، وتغرس المحبة والأخوة في نفوس الآخرين وتعمل على توجيه الفرد وضبط سلوكه وتهذيب أخلاقه، وتُعد "القيمة الأخلاقية "من أهم مجالات القيم لما لها من دور بارز في تحديد معالم الشخصية،وتعمل بشكل دائم على تأهيل المسلم كي يكون إيجابياً وفعالاً في الحياة.

(١) سورة البينة، آية رقم ٥.
(٢) سورة الفرقان، آية رقم ٦٧.
(٣) دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تأليف: د/ عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، د/ سعيد إسماعيل علي، ص٨٢، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار الفكر العربي، القاهرة.

والقيم كمحدودات للسلوك: فهي مُحددات سلوك،عندما يؤدي المرء سلوكاً معيناً أو يختار مساراً مفضلاً على سلوك أو مسار آخر، فإنه يفعل هذا وفي ذهنه أن السلوك الأول إنما يساعده على تحقيق بعض من قيمة السلوك الآخر(١).

ب- أما تعريفها في "الفلسفة ": فتُعد جزءاً من الأخلاق والفلسفة السياسية، وتعتبر "القيم" مبحثاً هاماً سواء أوفي الماضي والحاضر(٢).

جـ- تعريفها في"علم الاجتماع": فتُعد القيم هي حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي، وتشتق أساساً من التفاعل الاجتماعي.

د- تعريفها عند علماء "الاقتصاد": اعتاد علماء الاقتصاد تخصيص استعمال الكلمة لأنفسهم،حيث نجدهم قد ميزوا القيمة في الاستعمال، والقيمة في التبادل، ومن ثم صارت "للقيمة" في الاقتصاد نظرية ترتبط بنظرية الثمن، أو السعر.

وتنقسم إلى نوعين: ١- قيم الإنتاج. ٢- وقيم الاستهلاك.

وما يتبع ذلك من مسألة العرض والطلب، يضمها عنصران اساسيان: المادة الأولية من ناحية العمل، والجهد الإنساني من ناحية ثانية.

وهناك تعريفات أُخرى (للقيمة) لا تنتمي إلى اي من الاتجاهات السابقة نذكر منها:، مايلى :

(أ) أن القيم عبارة عن "مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه"

(ب) وقيل أيضاً: أن (القيم) عبارة عن مفهوم أو تصور ظاهر أو ضمني يُميز فرداً أو يختص بجماعة، لما هو مرغوب فيه وجوباً مما يؤثر في انتقاء أساليب العمل ووسائله وغايته(١).

(١) القيم الخاصة لدى المبدعين، محيي الدين أحمد، ص٣٨، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
(٢) دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تأليف: د/ عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، د/ سعيد إسماعيل علي، ص٨٢.

ويُلاحظ في كل المفاهيم السابقة: أن "القيم" تتمتع بالخصائص أو الموجهات الآتية:

١- أنها عناصر توجيه في الحياة تعكس توجهاً معيناً حيال نوع معين من الخبرة.

٢-أنها تحمل صفة الانتقائية.

٣-أن الاختيار الذي تفرضه القيمة على الفرد في مجال التعامل يُعد أفضل اختيار له.

وأخيراً: فإن الذي ينظر في تعريف (القيمة) في اللغة وفى الاصطلاح يجد: أن هذه المعاني تعددت بتعدد مجالات استخدامها في النشاطات الإنسانية، وأن كل معنى من هذه المعاني يتخذ خاصية المجال الذي يحدده إذ يمكن أن يُقال: أنه إذا فقد قيمته فقد معياره أو خاصيته، ولا أظن أن هذه المعاني فيها شيء من الإبهام أو الغموض، بل هي تعتبر تنبيهاً على ما ينطوي عليه معنى (القيمة) من مستويات تجعل للقيمة مكانتها وأهميتها في سياق مجالها.

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات المختلفة من وجهة النظر الإسلامية فإنه يمكن القول: إنها جميعاً لا تعدو أن تكون اجتهادات نابعة من تخصص أصحابها ومن ثم فإنه يُلاحظ عليها ما يلي:

(أ) أن هذه المفاهيم تعبر عن بيئاتها وثقافتها التي نشأت فيها، وهي مختلفة متعددة، ومع هذا فإن فيها ما قد يتوافق مع البيئة العربية الإسلامية وفيها ما لا يتوافق.

(ب) قامت المفاهيم المختلفة – رغم تفاوتها واختلافها- من الفرد أو المجتمع مصادر(للقيم) ، وجعلت الحكم على الأفعال يتأتي من قبل الإنسان فقط، يحكم

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ص ٧٨، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة .

عليها من خلال منفعتها (الآنية) أو ضررها (الآني) [١]، بغض النظر عن الخير أو الشر الكامن فيها، والإنسان لا يمكنه إدراك (الحسن والقبح) [٢] بعقله المحض، كما أنه لا يدركها إدراكاً جامعاً قبل الفعل أو بعده. ثم إن الإنسان بحكم نسبيته عرضة للتفاوت والاختلاف والتناقض، فقد يحكم على الفعل بالحسن تارة وبالقبح تارة، تبعاً للظروف، أما الحكم الموضوعي الحقيقي فلا يستطيعه، لأن الذي يستطيع أن يزود الإنسان بهذا على وجه الحقيقة هو الدين السماوي[٣].

(ج) إن هذه المفاهيم ناتجة عن عقلية وضعية خاصة، ومن ثم لا تكاد تفي بفهم القيم الإسلامية، نظراً لأن الرؤية الإسلامية تلتزم بالتصورات الإسلامية الأساسية، وهي منبثقة من دلالات (النص القرآني الكريم)، والنص النبوي الصحيح، ولأن وصف الفعل الإنساني والحكم عليه إنما يصدر عنهما بعد النظر فيهما لاستجلاء الأحكام التي تشتمل عليها هذه النصوص، في إطار هدف محدد وهو استجلاء "المراد الإلهي في تحديد أفعال الإنسان دون أن يكون له أي مدخل في الإضافة الذاتية بما يؤثر على ذلك المراد بالزيادة أو النقصان أو التغيير"، والأمر إذاً: ليس خاضعاً للوضعية العقلية الذاتية المحضة، وإن كان لها اعتبارها الخاص في فهم النص وتنزيله.

(د) إن هذه المفاهيم تختلف عن الرؤية الإسلامية والنهج الإسلامي الذي يرى أن أعمال الإنسان ليست هدفاً في حد ذاتها، بل ترتبط بالله سبحانه وتتجه نحو مرضاته، وإن لم يتحقق من هذا العمل أو ذاك نفع مباشر أو مصلحة عاجلة، أو لذة

---

(١) الآنية : هي تحقيق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية ؛انظر التعريفات ، للجرجانى ، تحقيق وتعليق ، د٠عبدالرحمن عميرة، باب الألف، فصل النون ص٦١، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.

(٢) أ- الحسن : هو مايكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل؛ التعريفات ، للجرجانى، باب الحاء، فصل السين ص١١٩. ب-والقبح :هو ما يكون متعلق الذم في العاجل والعقاب في الآجل؛ المصدر السابق ،باب ،القاف ، فصل الباء : ص٢٢٠.

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ص٧٨.

آنية. لأن الله (تعالى) هو وحده المتفرد بخلق الإنسان، ولهذا فهو متفرد بكمال العمل بما خلق في طبيعته وقدراته ونوازعه وحاجاته، وبناءً على ذلك: فهو متفرد بوضع منهاج الحياة له على الوجه الذي يكون فيه خيره، وسعادته وترقيه في كافة شئون حياته الفردية والاجتماعية، وبذلك يكون الأساس والمعيار الأوحد فيما يأتي الإنسان ويذر فكراً أو سلوكاً هو ميزان البيان الإلهي، ائتماراً بما أمر الله (تعالى)، وانتهاء عما نهى عنه[١] سبحانه وتعالى .

(هـ) إن هذه المفاهيم لا تعبر عن المقاصد الكلية للحياة، وإنما تعطي الإنسان ضابطاً للحياة الدنيا وعلاقتها، ولذلك ارتبط بعضها بتحقيق السعادة للإنسان على وجه الأرض في الحياة الدنيا في حين أنه من المسلم به في المنهج الإسلامي وجود حياة آخرة فيها (ثواب وعقاب) [٢] على ما يأتي الإنسان ويدع وما يختار وانطلاقاً من هذا، وتجنباً للثغرات التي وجدت في التعريفات السابقة فإنه يمكن تعريف "القيم" من وجهة النظر الإسلامية بأنها مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

(١) نضرة النعيم، ص٧٩.

(٢) أ- الثواب : هو مايستحق به الرحمة والمغفرة من الله تعالى ، والشفاعة من الرسول ﷺ ، انظر التعريفات، للجرجانى، باب الثاء، فصل الواو ص١٠٣. ب-والعقاب:هو جزاء الشر ، وما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة في الآخرة ، وأما مايلحقه من المحنة بعد الذنب في الدنيا ، فيسمى بالعقوبة ؛ انظر:المعجم الفلسفى، دعبدالمنعم الحنفى،ص٢٠٦، الطبعة الأولى،١٤١٠ه – ١٩٩٠م ،الدار الشرقية ، القاهرة .

ثانياً: ((حقيقة القيم الخُلقية ، وتحديد مستوياتها وأنواعها))

١- حقيقة القيم الأخلاقية:

بعد أن تعرفنا على مفهوم القيمة في اللغة، والاصطلاح فإنى انتقل بالحديث الآن إلى بيان " حقيقة القيم الخلقية ، وأهميتها:

يبدو جلياً مدى التقارب بين مفهوم "الأخلاق والقيم "، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، ولكن إذا كانت القيم تتعلق بجوانب شتى من الحياة، حتى إن البعض يقول: إن هناك قيماً خلقية تختص بالشعور بالمسئولية والالتزام إلى جانب قيم أخرى، فإننا لا نكاد نلمح فارقاً بين الإثنين باعتبار أن الأخلاق تتصل أيضاً بكافة جوانب الحياة، فهي لا تنفصل عن حياة الإنسان في كافة جوانبها.

ويمكن القول: إن الأخلاق تستند في أصلها إلى قيم للسلوك الفردي أو الاجتماعي، والفعل الخُلقي هو في صميمه فعل قيمي.

ومع هذا فلا يجب أن نهمل ما توصل إليه علماء" الأخلاق" ونحن ندرس القيم، ولا نهمل ما توصل إليه علماء التربية الذين اهتموا بدراسة القيم لأنها توضح وتُجلي مجالات من مجالات الأخلاق ودراستها، ولذلك فإن حديثنا سينصب في باقي هذه المقدمة حول القيم الخُلقية والتي تعني تلك القيم التي تتصل بشعور الإنسان بالالتزام والمسئولية والجزاء(١).

٢-تحديد حقيقة القيم الأخلاقية:

يكاد يتفق" الأخلاقيون" على أن القيمة العليا للأخلاق هي الخير ويقابلها الشر، إلا أن هذا الاتفاق كان في اللفظ أكثر من كونه في المضمون، ولتحديد حقيقة القيم الأخلاقية يُوجد اتجاهان:

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ ، ص٨٤.

الأول: تحديد القيمة الأخلاقية خارج إطار الإسلام.

الثانى : تحديدها في إطار الإسلام[١].

أما الاتجاه الأول: تحديد القيمة الأخلاقية خارج إطار الإسلام، فإن هناك بعض الاتجاهات التى تدور في ذلك أسوق منهامايلى :

أ- الاتجاه الطبيعي: يُفسر هذا الاتجاه القيمة باللذة والألم، فلأن اللذة مرغوبة بالطبيعة وكل مرغوب بالطبيعة لذيذ. والألم مكروه بالطبيعة وكل ما هو مكروه بالطبيعة مؤلم، وكل لذيذ خير، وكل مؤلم شر والخير والشر من الأمور الحسية المادية المدركة بالطبيعة الإنسانية، فكل شيء ينزع الإنسان نحوه ويميل إليه ويرغب فيه بالطبيعة ويشتهيه هو خير وكل شيء يكرهه ويأنف منه بالطبيعة هو شر، وكان من أنصار هذا الاتجاه:

بنتام[٢]، وهوبز[٣]، وسيبنوزا[٤]، وكلهم يزعمون إمكان قياس القيمة قياساً مادياً.

ب-اتجاه الطبيعة النفسية: ويرى هذا الاتجاه أن القيمة ليست صفة خاصة بحقيقة الأشياء بل هي نابعة من الفاعلية النفسية سواء أكانت هذه الفاعلية اهتماماً أم رغبةً أم ميلاً أم تعاطفاً أم تحسيناً أم تقبيحاً.

---

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام (دراسة مقارنة)، تأليف: مقداد يالجن ص٣٠١، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م، مكتبة الخانجي بمصر.

(٢) جيرمي بنتام : هو عالم وفيلسوف إنجليزي، ويشتهر بدعواته إلى النفعية وحقوق الحيوان ولد سنة ١٧٤٨م وتوفي سنة ١٨٣٢م.

(٣) توماس هوبز : فيلسوف مادى إنكليزى ، (ولد سنة ١٥٨٨م وتوفي ١٦٧٩م)، من أهم مؤلفاته : (الذى عرض فيه بصورة لاذعة آراءه في الإنسان والمواطن ، وقد اصطنع هوبز (نظرية العقد الاجتماعى)في الوقت الذى كان يُسلم فيه بالتمثيل الشعبى. انظر : معجم الفلاسفة ، المختصر ،د.خلف الجراد ص٢٥٧، ٢٥٨، باختصار ، الطبعة الأولى ، سنة (١٤٢٨ه،٢٠٠٧م)، مطبعة /مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

(٤) اسمه باروخ سبينوزا ، (ولد سنة ١٦٣٢م وتوفي سنة ١٦٧٧م)، وهو فيلسوف مادى هولندي من أهم مؤلفاته: رسالة في إصلاح العقل ، الحب العقلى لله ،وغيرهما من الكتب . انظر : معجم الفلاسفة ، المختصر ،د.خلف الجراد ص١١٥، ١١٦.

إذن مسألة (القيمة) مسألة ذاتية فردية وإرادية فكل ما يلائم الرغبات النفسية الإرادية الفردية يعتبر خيراً بالنسبة إلى صاحب هذه الإرادة أو تلك.

فالقيمة لا ترجع في حقيقتها إلى ذات الأشياء وإنما ترجع إلى ذات النفس الفاعلة فالنفس الفاعلة هي التي تضيف على الأشياء والأفعال والأفكار قيمة بحسب اهتمامها بها وانفعالها معها، وبحسب ما تحس فيها من خير أو شر ونفع أو ضر وقد ذهب إلى هذا الاتجاه شوبنهور، ونيتشه(١).

والفرق بين الاتجاهين السابقين:

أن الأول يرجع القيم إلى قيمة مادية موضوعية فالعلاقة بين الكائن الحي والقيمة علاقة حسية يمكن قياسها موضوعياً كمياً.

بينما يرجع الثاني إلى عملية نفسية ليست مادية بحتة والعلاقة بين القيمة والعملية النفسية فيها جانب موضوعي وجانب آخر ذاتي ولهذا لا يمكن قياسها قياساً موضوعياً آلياً كمياً(٢).

ج-الاتجاه العقلي: يرى أصحاب هذا الاتجاه بصفة عامة أن (القيمة) هي التي تتلاءم مع العقل وتوافقه، بل إن العقل والقيمة شيء واحد، فالمعيار هو العقل والقيمة خاضعة له لأن القيمة تحدد بناء على المعيار.

ولا ينبغي العمل بمقتضى العقل لغرض الوصول إلى الخير بل يجب السير عليه بصرف النظر عن الغاية الخيرية إلا أن الخير لما كان متحداً مع العقل أو أنه تابع وملازم له فالعمل وفقاً للعقل يولد الخير بالطبيعة، وإن كانت قيمة الأخلاق تقاس بالإرادة الخيرة فإن الإرادة الخيرة تقاس بمدى موافقتها للعقل.

---

(١) العمدة في فلسفة القيم، د/ عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ١٢٣، وشوبنهور، فيلسوف ألماني ومعروف بفلسفته التشاؤمية فما يراه في الحياة ما هو إلا شر مطلق، وفي بولندا سنة ١٧٨٨م وتوفي سنة ١٨٦٠م، ونيتشه: فيلسوف ألماني وناقد ثقافي وشاعر وملحن ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية، ولد سنة ١٨٤٤م، وتوفي سنة ١٩٠٠م.

(٢) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، ص ٣٠٢.

وينبغي ألا يفهم من هذا أن العقل ظاهرة طبيعية ،بل ينبغي أن يفهم من حيث أنه متعالي على الطبيعة؛ لأنه فكر يحكم على الطبيعة، فالعقل إذن ليس خاضعاً للطبيعة مقهوراً بها بل هو متحكم فيها ومقيم لها وقد ذهب إلى هذا الاتجاه كانط وأتباعه(١).

وأخيراً وبعد هذا العرض يُمكن القول أننا لو نظرنا إلى هذه الاتجاهات السابقة لوجدنا أن مرجع القيم في الاتجاه الأول هو الطبيعة الفاعلة وفي الثاني طبيعة النفس الفاعلة وفي الثالث العقل الفاعل فهذا التناول لا يكفي من حيث تحديد مفهوم القيمة خارج إطار الإسلام وبالتالي نتناول تحديد مفهوم القيمة في الإطار الإسلامي.

٣-تحديد القيمة الأخلاقية في إطار الإسلام:

عندما نتطرق إلى تحديد حقيقة القيم في الإسلام نجد أنه قد عبر عنها أحياناً بالخير وأحياناً بالقيمة، وإن كان استعماله للفظ الأول أكثر من الأخير إلا أن إبدال لفظ بلفظ آخر قد لا يزيد الأمر وضوحاً لبيان حقيقة هذا الخير أو تلك القيمة في الإسلام ينبغي أن ندرسها في المجالات التي استعملا فيها حتى نستطيع تحديد حقيقة هذه القيمة ومقارنتها بالقيم الأخرى.

وإذا نظرنا إلى المجالات التي استعمل فيها لفظ الخير وجدنا أنه استعمل في المجالات الآتية:

وعبر عنها بألفاظ مختلفة مثل البر والحكمة ورفعة المكانة الأدبية بين الناس وما إلى ذلك:

(١) نفس المرجع، ص ٣٠٣. والفيلسوف (إيمانويل كانط) هو فيلسوف ألماني من القرن (الثامن عشر) وكان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوربية الحديثة، وأحد الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة، ولد سنة ١٧٢٤م، وتوفي سنة ١٨٠٤م.

المجال الأول: وهو (مجال المعرفة والحكمة): فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١).

ومعروف أن الحكمة هي العمل بمقتضى العلم، وسداد التفكير، فهي بذلك تجمع بين القيمة الفكرية والعملية أو بين العمل بموجبه.

والمجال الثاني: مجال العقيدة والإيمان بالله سبحانه وتعالى حيث قال :﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٢). لأن الإيمان بالله كما هو خير بنفسه فإنه يؤدي كذلك إلى الخير.

والمجال الثالث : مجال الصلاح والتقوى: فقال جل وعلا:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾(٣).

وقال تعالى أيضاً في كتابه العزيز:﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(٤).

والمجال الرابع: مجال الإنفاق والمساعدة لقوله سبحانه:﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٥).

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٦٩.
(٢) سورة آل عمران، آية رقم ١١٠.
(٣) سورة الحج، آية رقم ٣٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية رقم ٢٦.
(٥) سورة البقرة، آية رقم ٢٧٢.

والمجال الخامس: مجال الشخصية الإنسانية: قال تعالى:﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾(١).

وقال الرسول ﷺ :" إن من أخيركم أحسنكم خلقاً"(٢).

وقال تعالى:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾(٣).

والمجال السادس: مجال كسب رضوان الله في الآخرة قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤).

٤-أما لفظ القيمة فقد استعملت في المجالات الآتية:

الأول – مجال العبادة الخالصة لله تعالى فقال جل وعلا:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(٥).

والثانى :مجال الأحكام والقضاء فقال تعالى:﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾(٦). ولقد بين الله أن في تلك الصحف أحكاماً قيمة صدرت من الله إلى العباد.

والثالث : مجال هداية الناس بالكتاب الكريم كما في قوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾(٧).

---

(١) سورة القصص، آية رقم ٢٦.
(٢) صحيح البخاري، باب" لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً"، ج٨، ص١٢، رقم ٦٠٢٩.
(٣) سورة المجادلة، آية رقم ١١.
(٤) سورة فصلت، آية رقم ٤٠.
(٥) سورة البينة، آية رقم ٥.
(٦) سورة البينة، آية رقم ٢- ٣.
(٧) سورة الكهف، آية رقم ١- ٢.

والرابع : في مجال وصف الإسلام بالطريق المستقيم كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1].

ويُلاحظ من خلال هذا العرض أن هناك استعمالات لكلمة الخير والقيمة، فكلمة الخير تستعمل لجميع الخصال الحميدة والأفعال الأخلاقية النبيلة وما تؤدي إليه هذه المنافع والفوائد لصالح الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة ويعبر بها بصفة عامة عن القيم السلوكية والشخصية والفكرية.

أما كلمة القيمة فقد استعملت بصفة عامة في قيمة الإسلام كأحكام ومبادئ سليمة ومرشدة للناس في هذه الحياة.

إذن مجال استعمال كلمة الخير أعم من القيمة وهي تستعمل في الدلالة على الأخلاق وكل ما يتصل بالأخلاق فإنه يتعلق بها.

والإنسان الخير يكون منبع الأفعال الخيرة ولا يصدر منه إلا الأعمال الخيرة ينتفع بها الناس والإنسان الشرير هو مصدر للأفعال الشريرة تؤذي من يقترب منه وقد صور لنا ذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:" إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة"[2].

وهنا صور لنا رسولنا الكريم أن الإنسان الخير كحامل المسك يشم منه ريح طيبة، أم الإنسان الشرير كنافخ الكير يحرق كل من يقترب منه.

---

(١) سورة الأنعام، آية رقم ١٦١.

(٢) أخرجه صحيح مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ج٤، ص ٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٨. ومعنى يحذيك: اي يعطيك.

والحاصل : أن الإسلام العظيم قد بين حقيقة القيم الأخلاقية بأنها "ضرب من النظام المتعالي على الواقع يستمد قيمته من إرادة الله سبحانه ومن الإنسان والوجود المادي وهذه المثالية للقيمة معطاة قد أخذت مكانها في فطرة الإنسان باسم "الحاسة الخلقية"(١). والشعور الخلقي وتحت دافعية هذا الإحساس ،أو ذلك الشعور يحاول الإنسان التسامي به إلى ذلك المثال وتقليده وفي ضوئهما يميز بين العمل الأخلاقي واللا أخلاقي، بين درجات القيمة الأخلاقية للأفعال الإنسانية(٢).

إذن الغاية تستمد من إرادة الله سبحانه وعندما يريد الإنسان من سلوكه ما أراد الله منه أن يريده فإنه يكون قد اتحدت الإرادتان أو الغايتان غاية الله وغاية الإنسان

ولقد حدد الإسلام الحكيم غاية الأخلاق التي ينبغي أن يتم العمل الخُلقي في ظلها بأن يريد الإنسان من عمله ابتغاء وجه الله تعالى ، وأن يعمل لأن هذا العمل هو ما أراده الله منه، ولهذا يقول الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾(٣).

وقال تعالى:﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤).

وقال جل وعلا:﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾(٥).

(١) الحاسة الخلقية: هي القوة الكامنة داخل الإنسان والتي من خلالها يدرك الخير والشر وتميز بينهما تلقائياً دون أي تبرير وتدفعه إلى عمل الخير تلقائياً. راجع شرح مذهب الحاسة الخلقية عند شافتسبري: وهو المعرو بفيلسوف الحاسة الخلقية. الموسوعة الحرة "ويكيبيديا".
(٢) الاتجاه الأخلاقي، لمقداد يالجن، ص٣٠٩.
(٣) سورة الرعد، آية رقم ٢٢.
(٤) سورة الروم، آية رقم ٣٨.
(٥) سورة الإنسان، آية رقم ٨- ٩.

فالمتأمل لهذه النصوص الحكيمة يعتقد تمام الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى جعل الأخلاق غاية لابتغاء وجه الكريم سبحانه حيث إنه ربط بين هذه الغاية وبين خيرية الأخلاق والجزاء في الآخرة.

ولا ينبغي أن نفهم من ذلك أن السلوك الأخلاقي ليس له قيمة بدون الغاية الأخلاقية ولكنه له قيمة ناقصة ولا ينال ثوابه في الآخرة وإنما ثوابه في الدنيا لأن الذي يعمل للناس أو للدنيا ينال ثواب عمله مكافأة من الناس على عمله بخلاف من يعمل لأجل ابتغاء وجه الله فهذا ثوابه في الآخرة حيث يقول الله تعالى في هذا الشأن:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

والمعنى أن من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإياها وزينتها يطلب به، نوف إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها (وهم فيها) يقول: وهم في الدنيا، (لا يبخسون)، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:" من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها" الآية، وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا، صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين[2].

(١) سورة هود، آية رقم ١٥- ١٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر ج١٥، ص٢٦٣.، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥- أما عن مجال تحديد مستويات القيمة، فقد رتبوها على هذا النحو[١]:

أ- القيم الإلزامية:

وهذه (القيم) تشمل الفرائض والنواهي، وهي القيم المقدسة التي يجب الالتزام بها ،والمحافظة عليها والتي يعاقب الخارج عليها عقاباً صارماً.

ب- القيم التفضيلية:

وهي (القيم) التي تشجع الجماعة أفرادها للقيام بها وتكافئ عليها ولكنها لا ترتقي إلى مكانة الأولى التي تتطلب لتاركها عقاباً صارماً.

مثل النجاح في الحياة وضروب المجاملات بين الناس.

ج- القيم المثالية:

وهي التي يحسن تحقيقها بصورة كاملة وقد تؤثر تاثيراً قوياً في توجيه سلوك الفرد وذلك مثل مقابلة الإساءة بالإحسان حيث قد عبر عن ذلك القرآن الكريم في قوله عز وجل:﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾[٢]. أى: ادفع بالتي هي أحسن السيئة وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها، لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين. وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك. وقيل: الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل. نحن أعلم بما يصفون بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل إلينا أمرهم[٣].

ومعنى هذا: أي إذا أساء إليك أعداؤك بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة فإن ذلك يجعل المسيء إلى الاعتراف بالحق وندمه وأسفه ورجوعه بالتوبة عما فعل.

---

(١) نقلاً عن: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، لمقداد يالجن، ص ٣٠٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية رقم ٩٦.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفي ٦٨٥هـ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج٤، ص ٩٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

فمقابلة الإساءة بالإحسان تعد من القيم المثالية التي حث عليها الدين الإسلامي العظيم حتى تسود روح المحبة والمودة والأخوة بين الناس ولا تظهر البغضاء والكراهية بين البشر.

وهناك تقسيم آخر لمستويات القيم وهو التقسيم الآتي:

الأول : المستوى الأدنى: مستوى القيم الملائم وغير الملائم.

الثاني : مستوى القيم الحيوية وتشمل القيم: المتميز والنبيل.

والثالث :مستوى القيم الروحية: وتضم القيم البديعية الجمالية والحقوقية والعقلية.

والرابع : مستوى القيم الدينية: وهي تتصل بالله وعلاقة الناس به وهي تهيمن على سائر القيم لأنها هي أساسها كلها.

وهذه المستويات لا تنفصل بعضها عن بعض؛ بل يتداخل أحياناً بعضها في بعض وقد يتحول مستوى قيمة إلى مستوى آخر من حيث درجة الالتزام بها، وقد يتم هذا التحول من النوع الأول، إلى النوع الثالث أو الثاني أو من النوع الثالث، إلى الأول والثاني وهكذا.

وقد تفقد قيمتها بمرور الزمان وتتحول إلى مجرد عادة كما قد ينشأ صراع بين القيم فينتصر بعض القيم ويهزم بعض آخر وذلك نتيجة الصراع الاجتماعي بين المجتمعات أحياناً وبين الطبقات في داخل المجتمع الواحد نفسه[١].

٦- أنواع القيم:

يمكن الحديث بصفة عامة عن (نوعين) من القيم تندرج تحتهما كل أنواع القيم سواء كانت مادية أو معنوية وهما:

النوع الأول : قيم مطلقة: لا تحددها حدود زمنية أو مكانية، وهذا الصنف من القيم يطلب لذاته بوصفه غاية لا وسيلة، ويطلق عليه اسم القيم الكامنة، أو القيم

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام،أ. مقداد يالجن، ص ٣٠٦.

الباطنية الذاتية، فهي خير في ذاتها وبذاتها ولذاتها، فجمال الزهرة مثلاً يقوم لذاته، فهو غاية في ذاته.

ولعل أوضح مثال في هذا الصدد "السعادة" فنحن لا ننشد السعادة من أجل شيء آخر غير السعادة، فهي ليست وسيلة لأي شيء خارج عنها.

والنوع الثاني :قيم نسبية: يطلبها الناس بوصفها وسائل لتحقيق غايات أخرى وهذه القيم يطلق عليها اسم القيم الوسيلية أو القيم الخارجية مثل قيمة السيارة مرهونة بما تؤديه من خدمات، والمال لا يكون له قيمة إلا من حيث هو وسيلة لكثير من الأمور المرغوب فيها في الحياة(١).

والتمييز بين هذين (الصنفين) من (القيم) يعد أمراً بالغ الأهمية في مجال الأخلاق لأن الحياة الخيرة هي تلك التي تؤدي إلى أقصى حد ممكن من الخير الكامن وفي الوقت نفسه تنظم (القيم) الوسيلية على أساس أنها تخدم القيم الكامنة ويمكن تقسيم (القيم المعنوية) إلى خمسة أنواع:

الأول: قيم عقلية: وهي القيم التي تتعلق بالحق، مثل قيمة البرهان أو قيمة نظرية علمية.

والثاني: قيم جمالية: وهي تتعلق بالجمال مثل قيمة لوحة فنية أو قطعة موسيقية.

والثالث: قيم خلقية: وهي التي تتعلق بالخير مثل قيمة الصدق أو الأمانة وهي قيم تتضمن مطلباً يعبر عنه بصيغة (ينبغي أن يكون)(٢).

والرابع: قيم دينية: تتعلق بالدين، وتكون مصحوبة في العادة بإحساسات الرهبة والخشوع.

والخامس: القيم الاجتماعية: وهي تمثل المجتمع وعملية عضوية تتكون فيها شخصية الأفراد، وأسلوب وطريقة حياة كل منهم وفقاً لمعطيات تلك العملية

(١) أسس الفلسفة، د/ توفيق الطويل، ص٣٧٩، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية .
(٢) الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، ص٨٩، مرجع سابق.

العضوية، وقوام هذا هو اعتماد الفرد على المجتمع، وهذه العلاقة الاعتمادية إن صح التعبير تمثل قيمة أساسية؛ ذلك لأن المجتمع عملية عضوية، كما ذكرنا وليس مجرد خليط من البشر وبهذا المعنى فهو التربة الطبيعية التي ينمو ويزدهر الفرد فيها، ومن الطبيعي أن يجد الفرد نفسه متواصلاً مع الآخرين ومع المؤسسات الاجتماعية الكثيرة التي تكون المجتمع بداية من المنزل إلى الحياة الاجتماعية ككل(١).

وحتى تكون هذه (القيمة) الأساسية هي الاعتماد على المجتمع بجميع مؤسساته نتيجة ملموسة يتطلب ذلك قيماً أخرى مثل التعاون بين الفرد والآخرين.

أ-فالقيم الأخلاقية: وهي المتعلقة بالخير؛ وهي عنوان هذا المبحث والمقصود بها أنها مجموعة من (القيم) التي تسهم في بناء المنظومة الأخلاقية لدى الفرد والمجتمع وذلك حسب ما تقتضيه الفطرة والشرع والعقل لما لها أثر كبير وخير.

وهي وثيقة الصلة بالقيم الاجتماعية وذلك لأن الأساس في وجودها ذلك التفاعل القائم بين الفرد والآخرين(٢).

فكل هذه الأنواع هي أنواع القيم بصفة عامة وتعتبر القيم الأخلاقية هي نوع من ضمن هذه الأنواع.

أما عن أنواع القيم الأخلاقية بصفة خاصة كثيرة ولا تعد ولا تحصى فأبرز هذه الأنواع: العدل- الصدق- الأمانة- احترام الغير- التقوى- الصبر- مساعدة الآخرين- الوفاء- الإخلاص- سلامة الصدر من الأحقاد.

وغيرها كثير من القيم الخلقية وسوف نتناول هذه القيم كل منها على حدة، لبيان مفهومها وأهميتها لدى الفرد والمجتمع في المبحث القادم إن شاء الله .

(١) دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تأليف: د/ عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، ص ١١٧مرجع سابق .
(٢) نفس المرجع، ص١١٨.

ثالثاً طبيعة القيم:

اختلفت آراء الباحثين حول طبيعة القيم الخُلقية :

هل القيم لها وجود مستقل عن العقل الذي يدركها، أم أنها من صنع العقل ذاته؟ وهل هي مطلقة أم نسبية، ثابتة أم متغيرة؟

الواقع: أنه يوجد اتجاهات عديدة في تحديد طبيعة القيمة الأخلاقية ومن أبرز هذه الاتجاهات ، ما يلي :

- **الاتجاه الأول :وهو الاتجاه الإلهي :**

وهو اتجاه رجال الدين بعامة: الذين يذكرون أن المصدر الوحيد للقيم هو الله سبحانه وتعالى فهو الذي يقرر ما هو حلال وما هو حرام، وما هو خير وما هو شر وليس في الأفعال ولا في الأشياء صفة تقويمية وإنما الذي يعطيها هذه الصفة هو الشرع الإلهي(١).

فالتحسين والتقبيح: هما من الله تعالى وليسا عقليين، ففي الإسلام من قال بهذا المذهب أهل السنة ،" الأشاعرة والماتريدية " بوجه عام حيث قالوا: إنه لا يجب على الله تعالى شيء من قبل العقل ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع، فالعقل لا يدل على حسن الشيء ولا على قبحه قبل ورود الشرع، وفي حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع(٢).

وفي المسيحية: قال بها كثير من (اللاهوتيين)حتى ذهب بعضهم إلى القول بأن العقل الإنساني الخالص لا يمكنه التمييز بين الخير والشر، ولو لم يشأ الله تعالى أن يكشف لنا عن قصده، لكان من الممكن أن تقتل الولد أباه دون أن يكون مذنباً(٣).

(١) الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، ص٩٤.
(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتأخرين، للإمام فخر الدين الرازي ص ٢٠٤، راجعه وقدم له: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
(٣) الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ٩٤.

وقد ذهب العقليون من المتكلمين المسلمين وهم (المعتزلة): فرأوا ضرورة القول بأن (التحسين والتقبيح) عقليان وأن الله ما قرر أن هذا شر، وذاك خير أو حرام أو حلال إلا لأسباب ذاتية في الأفعال والأشياء نفسها[١].

والاتجاه الثاني :الاتجاه الاجتماعي:

وهو الذي يجعل المجتمع مصدراً (للقيمة الأخلاقية) فما يتواضع عليه المجتمع على أنه قيمة أخلاقية يكون قيمة أخلاقية لدى هذا المجتمع.

وهذا يعني بالضرورة أن لكل مجتمع قيمة الأخلاقية التي تخصه دون سواء من المجتمعات وفي هذا ما يفسر لنا الاختلافات القيمية القائمة بين مجتمع وآخر.

والاتجاه الثالث :الاتجاه الطبيعي:

وهو الاتجاه الذي يرى أن مصدر (القيم الأخلاقية) هو التطورية الطبيعية القائمة على الاصطفاء الطبيعي ونظرية الصراع من أجل البقاء أو الوجود فالإنسان في تطوره واصطفائيته الطبيعية يكون منظوماته الأخلاقية وقيمه التي يمنحها من خلال هذه التطورية والاصطفائية ما يكفي من الإلزام والقوة ليحمي ذاته ويحدد علاقاته مع الآخرين.

والاتجاه الرابع : الاتجاه النفسي:

هو الاتجاه الذي يرى أن مصدر القيم الأخلاقية في طبيعتها وقوتها وإلزامها هو البيئة النفسية وهذا الاتجاه اقرب إلى الفردية لأنه يجعل مصدر القيمة الأخلاقية شخصاً أو فردياً أو ذاتياً بالمعنى الأكثر دقة ومثل هذا الاتجاه هو ما تنادي به الاتجاهات ذاتية النزعة عامة[٢].

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، د/ عزت السيد أحمد ص٦٥، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٥.

رابعاً: خصائص القيم في الفكر الإسلامي: تتضح أهم خصائص القيم الخلقية في الفكر الإسلامي ؛ على هذا النحو :

١-أنها تصدر من مصادر الإسلام ذاته، أي أنها تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويعتبران الأساسين اللازمين للحديث والبحث عن القيم الإسلامية.

٢-أنها تستمد من الأحكام الشرعية، باعتبار أن الحياة الإسلامية كلها تقوم على الأحكام، وتأتي (القيم) في صورة أمر بالفعل أو أمر بالترك والكف بكافة درجات أمر الفعل وأمر الترك، وهي بهذا تحدد توجيهات الإنسان في حياته حيال الأشياء والمواقف تاركة له مساحة من الاختيار .

٣-أن لها وجوداً مستقلاً عنا بذاته، مثل أي شيء في العالم، غير أنه وجود مثالي لا واقعي، وأنها لا تخضع لأية حدود زمانية أو مكانية، شأنها في ذلك شأن القضايا الرياضية.

٤-تشتمل على نداء موجه إلى ضمائرنا معبراً عنه بصيغة (ينبغي أن يكون) ومن هنا لا يمكن أن تنتزع من الواقع المعبر عنه بما هو كائن.

٥-أنها مطلقة وغير مشروطة بأي شرط، ولا تخضع لأية ظروف أو ملابسات أياً كانت.

٦-أنها تقوم على أساس الشمول والتكامل بمعنى:

– أنها تراعي عالم الإنسان وما فيه، والمجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياة الإنسان طبقاً للتصور الإسلامي، أي تحدد اهداف الحياة وغايتها وما وراءها ومن ثم تكون قيمة أي إنجاز بشري في تقدير حسابه وجزائه في الدار الآخرة مع عدم إهمال الدنيا.

– وأنها جامعة لكافة أنشطة الإنسان وتوجهاته، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هي في هذا لا تقف عند حد الحياة الدنيا.

٧-أنها تتميز بالاستمرارية والعمومية لكل الناس في كل زمان ومكان، ويؤكد ذلك القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(١).

ولا تأتي تلك الاستمرارية إلا إذا كانت هذه (القيم) موضوعية، أي من عند الله تعالى، فالإنسان لا يمكنه من تلقاء نفسه ودون معونة إلهية أن ينشئ نظاماً حياتياً صالحاً له، ولا يمكنه أن يقيم منظومة قيمية تساعده على أداء دوره في الأرض، بسبب ما يطرأ عليه من ميل الهوى، وما جلب عليه من ضعف، ولذا فإن الوحي هو الذي يستطيع ذلك، وهذا ما حدث فعلاً، فقد جاء الوحي بقيم خالدة تحفظ على الإنسان جهده وحياته، ولترتفع به إلى المستوى اللائق به كخليفة الله تعالى في الأرض.

وتأتي تلك (القيم) في استمراريتها من موضوعيتها، فهي لا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان، وهي ليست من نتاج بشر، بل هي وحي من الله تعالى لنبيه، وعلى هذا تكون الاستمرارية سمة فاصلة بين قيم الله سبحانه وتعالى وقيم البشر(٢).

وأنها جامعة للثبات والمرونة، فهناك قيم عُليا ثابتة لا تقبل الاجتهاد أو التغيير أو التبديل، كالقيم العقدية، وقيم العبادات وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما القيم الأخرى فهي نسبية، بمعنى أن القيم التي تستند إلى نص قطعي الدلالة لا يجوز فيها التغيير أو التبديل، أما تلك التي تعتمد على ظني الدلالة، فإن مجال الاختيار فيها واسع، وهي مرنة مرونة كافية لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من مواقف وحوادث، وما تصير إليه الأمور في المجتمعات، وهي مما يتحتاج إلى نظر وتأمل واستنباط.

(١) سورة الفرقان، آية رقم ١.
(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ص٨١.

فالقيم والقواعد القطعية الواجبة لا يجوز فيها التبديل، أما ما يستحدث من مواقف وما يجوز فيه الاجتهاد ويستجد من قيم بحب اقتضاء المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً، فتلحقها الحركة والمرونة، وبهذه الميزة استطاعت القيم الإسلامية الحفاظ على المجتمع الإسلامي بالرغم من التغيرات التي اصابته والتي واجهته على مر الزمن(١).

٨–أنها وسيطة بمعنى: أن وسطية القيم الإسلامية لم تلغ الطبيعة البشرية، بل عملت وتعمل على توجيهها باعتبارها مفاهيم ضابطة، تعمل على توجيه هذه الطبيعة، فهي لا تضاد الفطرة ولا تلغيها ولا تكبتها ولا تقف في سبيلها، بل تحاول توجهها بطريقة دافعة، ومن منطلق هذه الوسيطة يلزم الإسلام الإنسان بالقيم المحققة لإنسانيته، والتي لا تغلو في طرف وتهمل طرفاً آخر، فالإنسان مطالب – مثلاً – بالتوسط في الإنفاق، والعاطفة، والاعتقاد، وتوفية مطالب الروح والجسد، والايات التي تؤكد ذلك عديدة منها قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٢).

وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٣).

إن تلك الوسطية التي تتميز بها (القيم الإسلامية)، تعد عملية انتقائية، إلا أنها توفيق دقيق جداً بين الوحي وإمكانات الإنسان الأرضية، وهو ضروري لأنه يولد لدى الإنسان حيوية الاختيار والانتقاء للالتزام بها، مما يتيح في النهاية عملاً

(١) المصدر السابق، ص٨٢.
(٢) سورة الإسراء، آية رقم ٧٧.
(٣) سورة القصص، آية رقم ٧٧.

يتسم بالصدق في المظهر والمخبر، بخلاف عملية التلفيق التي لا تحمل دلالة نفسية على تقوى أو صلاح.

وهذه الوسطية تستلزم التفهم الكامل لموضوعات القيم، لأنها تستلزم الاختيار ولا اختيار بدون وعي، أي أنها تتعلم، فالإنسان لا يولد مزوداً بها، ولكن لديه الاستعداد ومن ثم تنشأ وتتكون لديه من الخبرات والمواقف التي يعيشها الإنسان.

ويستفاد من كل ماسبق أن هذه هي أهم الخصائص التي تتميز بها(القيم) سواء كانت (قيم خلقية): التي تتعلق بما يجب على (المكلف)[1] أن يتحلى به من الفضائل وما يتخلي عنه من الرذائل، أو قيم اعتقادية: التي تتعلق بالعقيدة وما يجب على المكلف عتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو قيم عملية: التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال أو أفعال وعقود أو تصرفات. وهي على نوعين:

الأول: العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ونذر ونحوهما، ويقصد بها تنظيم علاقات الإنسان بربه.

والثاني : المعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغيرهما ويقصد بها تنظيم علاقة (المكلفين) ببعض سواء كانوا أفراداً ،أم أمماً، أم جماعات، وهذه تضم فيما تتصل بالأسرة والقضاء ونظم الحكم وأصوله ومعاملات الدولة الإسلامية ومعاملات غير المسلمين كما تضم القيم المادية والاقتصادية[2].

(١) المكلف : نسبة إلى التكليف ،وهو إلزام الكلفة على المخاطب ؛ انظر التعريفات ، للجرجاني – باب التاء – فصل الكاف – ص ٩٤.

(٢) القيم التربوية القرآنية والحديث النبوي الشريف، د/ قاسم محمد محمود الخزعلي، ص٣٦، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، العدد خمسة وعشرون .

المبحث الثاني

دور الإسلام في تقرير وإثبات القيم الخُلقية ومدى أهميتها بين الفرد والمجتمع

تمهيد:

لقد جاء الإسلام الحكيم لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بخالقه (عز وجل) أولاً وبنفسه وبغيره من الناس ضمن نظام شامل يتناول جميع نواحي الحياة؛ وذلك بهدف الارتقاء بالحياة الإنسانية على أساس القيم والفضائل والأخلاق الرفيعة. فقد كان رسولنا الكريم (ﷺ) يدعو الله (عز وجل) أن يهديه ويرشده لأحسن الأخلاق وأفضلها.

وبذلك شهد الله تعالى له بأنه على خلق عظيم كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ولقد كان النبي محمداً ﷺ متمسكاً به، وبآدابه، وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من مكارم، ومحاسن الأخلاق ، ومن هنا فقد حث الإسلام الحكيم على أحسن القيم والأخلاق ودعا إلى التخلق بها.

ومما لا شك فيه أن (القيم الخلقية) تلعب دوراً هاماً في حياة الفرد والمجتمع حيث تؤثر بشكل مباشر في تقويم سلوك الإنسان وتصرفاته وتهذيب أخلاقه ؛وذلك لأن صلاح المجتمعات ورقيها لا يكون إلا بالتمسك بالقيم والمبادئ الخلقية لاسيما وقد حرص الإسلام العظيم على تنمية هذه (القيم) وذلك من خلال التربية الإسلامية ، حيث اهتم الإسلام بهذه التربية ووضع وسائل عديدة لتنمية القيم في المجتمع الإسلامي أسوق منها مايلي :

١- العبادات: هي الأسلوب العملي والوسيلة الأولى في التربية أي عبادة الله حق العبادة إلا أن العبادات ليست من وسائل التربية الروحية فقط، ولكنها من

(١) سورة القلم، آية رقم ٤.

وسائل تربية الإنسان المسلم ككل، ففي العبادات تربية جسمية، وتربية اجتماعية وتربية خُلقية وتربية جمالية وكذلك تربية عقلية(١).

أ- فالصلاة: تُربي الإنسان خُلقياً وعقلياً، حيث تربط الإنسان بالله تعالى وحده، كما أنها تقوي إرادة الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة".

يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٢).

وكان من دعاء الرسول ﷺ ، في افتتاح الصلاة "اللهم أهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت"(٣).

كما أن تأدية(الصلاة) في أوقاتها: تُعلم النظام والدقة في حفظ المواعيد، حتى إذا شب الطفل على إقامة الصلاة مع المحافظة عليها تعود الإقبال على العمل في الوقت المناسب، والمبادرة إلى انتهاز الفرصة قبل ضياعها، وابتعد عن التثاقل، وامتنع عن التكاسل.

ب- وفي الصوم، تربية خُلقية، والأثر التربوي للصوم يتلخص في تربية الروح، وتربية الخلق حيث يتعود الإنسان على ضبط نفسه ومكافحة شهواته وبذلك تتقوى الإرادة،وتثبت العزيمة يقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤). والصوم عبادة تتضمن التربية الخلقية، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:" سمعت النبي ﷺ يقول:" إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"(٥).

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ١٤٠.
(٢) سورة العنكبوت، آية رقم ٤٥.
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج٢، ص ١٨٣، رقم ٨٠٣.
(٤) سورة البقرة، آية رقم ١٨٣.
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الصديقة: عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، ج٤٠، ص ٤١٤، رقم ٣٤٣٥٥.

كما شُرع الصوم ولم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة وإقراراً[١].

لهذا المعنى ماروى عن أبي هريرة (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ):" من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[٢].

ج- وفي الزكاة تربية روُحية وخُلقية، فعن طريقها يتعلم الإنسان إطاعة الأوامر الإلهية ومكافحة الأنانية والإفراط في النزعة المادية والفردية.

والقرآن ينظم هذه الفريضة، ويجعل لها هدفاً هو في غاية السمو، والزكاة والرأفة وتوطيد العلاقات التعارف والألفة في شتى الطبقات وقد نص القرآن العظيم على الغاية من إخراج (الزكاة) فقال تعالى:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]. وبذا تنطبق النفس من أدران النقص والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى[٤].

د- أما عن (الحج) قد يظن الإنسان أن السفر إلى البقاع المُقدسة الذي كُلف به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام على بعض أتباعه،أي يحسبه أو يظنه رحلة مجردة عن المعاني الخُلقية، ولما قد تحتويه الأديان من تعبدات غيبية وهذا خطأ إذ يقول الله تبارك وتعالى:﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٥].

(١) موسوعة الأخلاق، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف، ج١، ص ٣٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، ج٣، ص ٢٦، رقم ١٩٠٣.
(٣) سورة التوبة، آية رقم ١٠٣.
(٤) موسوعة الأخلاق، إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف، ص ٣٩.
(٥) سورة البقرة، آية رقم ١٩٧.

٢-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق: أن القرآن الكريم يُوصي ويفرض ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقال تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٢]. والحاصل : أن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي؛ من أساليب التربية الإسلامية التي بدت خلال أحاديث المربي الرسول (ﷺ) وفي طريقة التواصي دعوة كل مسلم إلى أن يكون مربياً يعلم أخاه المسلم، والتذكير بالخير والحق، والدعوة إليهما، والتنبيه إلى الشر والضرر والنهي عنهما، هو من صميم الأساليب التربوية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق الإسلامية في نفس المسلم، وفي الحديث الشريف أن (أبا ذر) لما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال:" رأيته يأمر بمكارم الأخلاق"[٣].

ولما كانت هذه الوسيلة من أهم الوسائل التربوية التي حث عليها القرآن الكريم والتي يتحقق بها الهدف من التربية الإسلامية الصحيحة، لأنها تقوم بصيانة الحياة من الشر والفساد وفي هذه الطريقة يتحقق المبدأ الديمقراطي[٤] في التربية.

٣- ضرب الأمثال: والواقع أن الأمثال "تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا

(١) سورة الذاريات، آية رقم ٥٥.
(٢) سورة آل عمران، آية رقم ١١٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ج٥، ص ٤٧، رقم ٣٨٦١.
(٤) الديمقراطي: نسبة إلى (الديموقراطية)؛ وهي بمعنى الشعب ، في الحضارة الإغريقية،ومن ثم فهي نظام يعني حكم الشعب لنفسه : انظر المعجم الفلسفي، د/ عبدالمنعم الحنفي ص ١٢٣.

صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة.

والأمثال كثيرة في القرآن، وهي تلعب دوراً هاماً وبالغاً، في التأثير في العواطف، والتأثير في السلوك الإنساني، وفي غرس القيم الإسلامية في نفس المسلم، فيما لو استعملت بحكمة، وفي الظروف المناسبة، ولذلك أبرزها القرآن الحكيم ، واهتم بضرب الأمثال فقال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(١).

وقال جل وعلا:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢). كما تُضرب (الأمثال) لتربية الإنسان تربية روحية وخُلقية، ففي الحديث الشريف عن أبي موسى ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ :" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها"(٣).

وفي الحديث الشريف أيضاً:" إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين".

---

(١) سورة العنكبوت، آية رقم ٤٣.

(٢) سورة الحشر، آية رقم ٢١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، ج٩، ص ١٦٢، رقم ٧٥٦٠. ومعنى (الأترجة) هنا : هي ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ. انظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المتوفي: ٢٦١هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص ٥٤٩.

وقد تُضرب (الأمثال) لتربية المسلم تربية عقلية ينمو فيها العقل ويزداد علم الإنسان، حيث يقول (ﷺ):" مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان فيها أجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"(١).

وجملة القول: فإن ضرب (الأمثال) وسيلة تربوية هامة تلعب دوراً هاماً في التأثير على تقويم سلوك الإنسان وتهذيب أخلاقه، وفي غرس القيم الإسلامية لدى الفرد والمجتمع، فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة والملائمة لهذا المقام.

٤- ضرب الأسوة الحسنة: الواقع أن الرسول (ﷺ) أمرنا بضرب الأسوة الحسنة في التحلي بالأخلاق الحسنة وذلك لأن غرس القيم والأخلاق الحميدة لا تكون إلا عن طريق الأسوة الحسنة القائمة على الأخلاق والقيم الإسلامية. فالأسوة الحسنة هي أساس التربية ولن تصلح تربية الأفراد والمجتمعات على القيم والأخلاق إلا بوجودها فقد كان الرسول ﷺ يغرس في أصحابه الأخلاق والقيم عن طريق سيرته العطرة حيث قال سبحانه وتعالى:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج ١، ص ٢٧، رقم ٧٩. شرح الحديث: (الغيث) المطر الذي يأتي عند الاحتياج إليه، (نقية) طيبة، (الكلأ) نبات الأرض رطباً كان أم يابساً. (العشب) النبات الرطب، (أجادب) جمع أجدب وهي الأرض التي لا تشرب الماء ولا تنبت، (قيعان) جمع قاع وهي الأرض المستوية الملساء، (فذلك) أي النوع الأول، (فقه) صار فقيهاً بفهمه شرع الله عز وجل، (من لم يرفع بذلك رأساً) كناية عن شدة الكبر والأنفة عن العلم والتعلم، (قيلت الماء) شربته، (قاع الصفصف) ما ذكر من معانيها تفسير من البخاري رحمه الله تعالى بطريق الاستطراد ومن عادته أن يفسر ما وقع في الحديث من الألفاظ الواردة في القرآن وربما فسر غيرها بالمناسبة، والقاع الصفصف واردان في قوله تعالى "فيذرها قاعاً صفصفاً"، انظر الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري مرجع سابق .

(٢) سورة الأحزاب، آية رقم ٢١.

وعن أبي هريرة، عن النبي (ﷺ)، قال:" إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق"(١).

والأمثلة من حياة الرسول ﷺ كثيرة جداً منها ما قد روُى عن (أنس بن مالك)، قال:" خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفاً قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذ؟"(٢).

وفي حديث (آخر) عن (أنس بن مالك ﷺ) أيضاً، قال: كنت أمشي مع النبي (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم "أمر له بعطاء"(٣).

وعن (عروة بن الزبير)، أن (عائشة رضي الله عنها) زوج النبي (ﷺ) قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ :" مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله" فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ : قد قلت: وعليكم"(٤).

والحق :أن هذه الأحاديث النبوية الشريفة وغيرها تؤكد على حرص الإسلام الحكيم على القيم الخلقية والحث على حسن الخلق وتثبت أن الأخلاق هي الهدف الأساسي للبعثة المحمدية وتأمر المسلم بالتحلي بمكارم الأخلاق، والدعوة إلى حسن

(١) شعب الإيمان، باب طلاقة الوجه وحسن البشر لمن يلقاه، ج ١٠، ص ٤٠١، رقم ٧٦٩٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، ج٤، ص ١٨٠٤، رقم ٢٣٠٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، ج٤، ص ٩٤، رقم ٣١٤٩، الشرح: (برد) نوع من الثياب، (نجراني) نسبة إلى نجران بلد في اليمن. (الحاشية) الجانب وحاشية الثوب جانبه وكذلك الحاشية من كل شيء، (فجذبه) شده، (صفحة) صفحة كل شيء وجهه وجانبه وناحيته ومثله الصفح، (عاتق) هو ما بين المنكب والعنق، انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري ، مرجع سابق .
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج ٨، ص١٢، رقم ٦٠٢٤.

الخلق وترغبه في ذلك بالثواب الذي يناله في الدنيا والآخرة فقد قال الرسول (ﷺ)" إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون"(١).

والثرثار: هو الكثير الكلام، والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام وينبذو عليهم.

ومما سبق يتضح لنا: عناية الإسلام العظيم بالتربية الأخلاقية؛ باعتبارها أساساً للشخصية المسلمة من أجل ذاتها ومن أجل الآخرين، فالقيم الخلقية هي سياج يحمي المجتمع من الانهيار والتسيب والانحلال.

كما احتوت كُتب (السيرة والأحاديث النبوية) على الكثير من المواقف التي تجلت فيها تلك القدوة الطيبة في شخص الرسول (ﷺ) مما يجب أن يكون تاجاً على رؤوسنا ونبراساً وهدى ومعيناً في تربية الشباب تربية صالحة تمكنهم من تحقيق عبوديتهم لله (عز وجل) وأداء رسالتهم في عمارة الأرض وتنمية القيم الخلقية وتطبيقها تطبيقاً عملياً في حياتهم الدنيوية التي يعيشون فيها.

وعلى الرغم من أنه لا يكاد تخلو كتب التربية الإسلامية أو الثقافة الإسلامية من إشارة سواء من قريب، أو بعيد لدور الأُسوة الحسنة الفاعلة في حياة الناس ومع ذلك نعاني من غيابها بشكل ملفت للنظر.

وإذا كنا قد عرضنا بعض من وسائل تنمية التربية الإسلامية كنماذج لأساليب التربية الخلقية وتنمية القيم والمبادئ إلا أن هناك أساليب أخرى لا تقل أهمية وتأثيراً عن الأساليب السابقة ومنها على سبيل المثال: الموعظة الحسنة، الترغيب والترهيب، الحوار المقنع والمناقشة، وإفراغ الطاقة، وغير ذلك كثير من هذه

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ج ٤، ص ٣٧٠، رقم ٢٠١٨. حكم الألباني، حديث صحيح.

الأساليب ولكن يضيق المقام عن تناولها بشكل من التفصيل في هذا البحث خشية الإطالة وذلك لأنه قد تناولتها كثير من الدراسات والبحوث المعنية بهذا المجال.

وبالإضافة إلى أن هناك العديد من (الأسباب) التي تُؤدي إلى إنحراف هذه القيم الخُلقية في الإسلام ، ويدور أبرزها في ضعف التربية الإسلامية الصحيحة: حيث إن من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى انحراف القيم والأخلاق الحسنة ضعف التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ). فانحراف التربية في جميع مؤسسات المجتمع تقوم على الأسرة، والمدرسة، والإعلام ، حيث إن هذه العوامل من أكثر المؤثرات على القيم والأخلاق سواء بالسلب أو بالإيجاب ؛وفيما يلى بيان ذلك :

السبب الأول : الأسرة: تُعتبر الأُسرة هي الحصن والحماية لجميع الأبناء، يتعلمون بها كل ما يلزمهم وهي المؤسسة الأولى للطفل، توفر له ما يطلبه، فهي المصدر الأول للتلقي فيتلقى الطفل كل ما يصدر عن الأبوين ويتأثر بهما بمثابة القدوة والمثل الأعلى له في الأقوال والأفعال وكل ما يصدر عنهما، فلو وجد الأبناء الاباء متمسكين بأمور دينهم وأخلاقهم انعكس ذلك عليهم وتأثروا بهم فيخرجون للمجتمع صالحين عالمين بأمور دينهم أما إذا كان العكس فانعكس ذلك على شخصيتهم(١).

وفي حال إهمال الآباء للأبناء، وعدم تعليمهم الأخلاق الحسنة وعدم وجود القدوة الحسنة للأبناء حتماً سينحرف الأبناء عن الأخلاق الحسنة وهذا يؤدي إلى انحراف القيم والمبادئ وضعف التربية ليصبح مثال فاشل منحرف يسئ للمجتمع الإسلامي.

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، لعدد من المتخصصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، ج١، ص ١٦٦. بتصرف.

يقول (ابن القيم رحمه الله) :" فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً"[١].

والسبب الثاني : المدرسة: تُعد المدرسة المرتبة الثانية بعد الأُسرة في التربية الصحيحة حيث يتعلم منها الطفل القيم والأخلاق الحميدة، فإذا كانت النظم والمعلومات التي يتعلمها الطفل في المدرسة بعيدة عن الإسلام والقيم؛ حتماً سيقع الطالب في الانحراف عن التربية السليمة والأخلاق السيئة وبعيدة عن التربية الإسلامية، لذلك كان من الضروري والواجب على المدرسين أن يكونوا أصحاب رسالة داعين إلى القيم والأخلاق الحسنة.

فالمعلم :لابد وأن يكون بمثابة القدوة الحسنة الذي يراها ويتعلم منه الطفل كل شيء لأنه له أثر قوي على تعليم الطفل وتقويم سلوكه وتهذيب أخلاقه. ولكن للأسف الشديد يظهر الدور السلبي للتعليم في المدارس، والذي ينعكس على القيم والأخلاق عند التلاميذ كما نراه أمامنا اليوم من الاختلاط بين الجنسين في المدارس والجامعات وما يترتب على ذلك من مساوئ ومفاسد.

ومن هنا: أمرنا رسولنا الكريم (ﷺ)على منع الاختلاط بين الصغار حتى بين الأخوة في المنزل فعن (عمرو بن شعيب)، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله (ﷺ):" مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"[٢].

(١) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ج١، ص ٢٢٩، مكتبة دار البيان دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب متى يأمر الغلام بالصلاة، ج١، ص ١٣٣، رقم ٤٩٥، حكم الألباني: بصحة هذا الحديث .

والسبب الثالث: الإعلام: قد يتعلم منه الفرد الأخلاق الحسنة من وسائل الإعلام الهادفة بجميع أنواعها، ويمكن أن يقع تحت تأثير الإعلام الفاسد الذي يعلم الشباب سوء الأخلاق وتحريفها ويدعوهم إلى الفواحش والرذائل.

فهذا أيضاً يكون سبب في انحراف القيم والأخلاق وله تأثير قوي وفعال على الفرد والمجتمع.

وجملة القول: أن (الأسرة والمدرسة والإعلام) لهما أثر قوي على الفرد والمجتمع إن صلحا كل منهما انعكس ذلك على المجتمع بأكمله وحكم عليه بصلاحه، أما إذا كان العكس أي إذا فسدتا كانوا سبب في انحراف وفساد الفرد والمجتمع ويكون آثار ذلك:

أ- البعد عن تعاليم الدين الإسلامي.

ب-انتشار الرذيلة في المجتمعات.

ج-انعدام القيم والأخلاق وتفكك المجتمع وعدم الأمن الأمان.

د-التعلق بالدنيا وترك الآخرة.

هـ-التقليد الأعمى للغرب والتشبيه بهم.

أضف إلى هذا أن العقيدة الإسلامية لها دور كبير في علاج هذه الانحرافات وذلك من خلال ما يلي :

١- طاعة الله سبحانه وتعالى وإتباع أوامره ونواهيه. كما في قوله (تعالى): **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾**[1].

(١) سورة النساء، آية رقم ٥٩.

٢- محاسبة النفس ومجاهدتها كما في قوله (تعالى):﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ "(١).

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله (تعالى):﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ﴾(٢).

٤-الاستقامة لأوامر الله سبحانه وتعالى كما في قوله تبارك وتعالى:"فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ "(٣).

٥- العقوبات: عقوبة السرقة:حيث قال الله جل وعلا:﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ** ﴾(٤).

عقوبة الزنا، كما في قوله (تعالى):﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾(٥).

عقوبة قاطع الطريق، كما في قوله (سبحانه وتعالى):﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ**

(١) سورة الحشر، آية رقم ١٨.
(٢) سورة آل عمران، آية رقم ١١٠.
(٣) سورة هود، آية رقم ١١٢.
(٤) سورة المائدة، آية رقم ٣٨.
(٥) سورة النور، آية رقم ٢.

أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ومما يستفاد : أن من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتحلى بالقيم والأخلاق الحميدة، وأن نعمل جاهدين بشكل جماعي على أن نطبق الأخلاق الإسلامية في جميع نواحي الحياة، في كل الأمور الدينية، والدنيوية، لكي يسود الأمن والأمان في المجتمع، وبالتالي يفوز بسعادة الدارين الأولى والآخرة .

ثانياً: القيم الخُلقية بين الفرد والمجتمع وأهميتها في الإسلام:

لقد قرر الإسلام للإنسانية حقوقاً بصورة لا نجد لها مثيلاً في أي نظام من النظم الحالية فهو أعطى قيمة للفرد، أو قرر له قيمة إنسانية، كما أعطى له حرية لممارسة حقوقه الطبيعية كفرد إنساني في إطار الأخلاق، ثم جعله مسئولاً عن تصرفاته أمام الله (سبحانه وتعالى) وأمام ضميره ومجتمعه.

ومن جانب آخر: لم يجعل المجتمع مجرد وسيلة في يد الأفراد ولم يعط الفرد حرية كاملة بحيث يمكن أن يستغل بها المجتمع لصالحه الخاص بل جعل لكل منهما شخصية مستقلة لها كرامتها وحقوقها؛ ثم ربط بين كرامة الفرد وكرامة المجتمع وبين حقوقها بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر استقلالاً كاملاً بل يجد الفرد مصلحته في أفراده وكرامته في كرامتهم وبناء على هذا رسم الإسلام الأخلاقية للفرد والمجتمع وأقام التنسيق بين الأخلاقية الفردية والأخلاقية الاجتماعية[2].

ثم إنه لم يعتبر هذا النظام الأخلاقي مجرد فرض أو نظام مفروض عليه من الخارج لا يتفق مع استعداداته الفطرية، بل اعتبر أنه نظام طبيعي يتلاءم مع

(١) سورة المائدة، آية رقم ٣٣.
(٢) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، ص ٣٦١.

استعدادات الفرد الطبيعية وميوله الغريزية، وهذا النظام لا بديل له للحياة الإنسانية الكريمة.

فالقيمة الأخلاقية في الاتجاه الإسلامي قيمة عظيمة : تجمع بين قيم السماء والأرض، ولهذا اهتم الإسلام كل الاهتمام بالأخلاق وحث الناس عليها دائماً لأن سعادة المرء مرهونة بها في هذه الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

وأصبحت (الأخلاق) حاجة لازمة وضرورية للعيش على وجه هذه الأرض، ولنتصور حياة المجتمع ماذا يحدث فيها إذا أهملت المبادئ والقيم الأخلاقية وسادت فيها الخيانة والغش والكذب والسرقة والفسق وسفك الدماء والتعدي على حقوق الغير وزالت كل المعاني الإنسانية في علاقات الناس بعضها ببعض من المحبة والتعاون والتراحم والأخوة والإخلاص فهل من الممكن أن تدوم الحياة الاجتماعية على هذا الحال؟[١].

كيف يُمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع يسوده الفوضى والانحلال الخُلقي الخالي من المبادئ والقيم الخلقية، فلا أمن للمجتمع ولا لأفراده، ومن هنا كان الاهتمام بالقيم الخلقية.

فالاهتمام بالأخلاق: تناولتها جميع المدارس الفلسفية قديماً وحديثاً وأخذ كل منهما يرسم لها صورها، ويحدد موضوعها ويضع معاييرها كل على حسب اتجاهه. ولم تحظى الأخلاق في مجتمع برعاية وعناية مثل ما حظيت بها في المجتمع الإسلامي؛ حيث تحدث الإسلام عن أنواع (القيم الخُلقية) وبلغت الآيات القرآنية التي تحدثت عنها كثيرة تتصل بالجانب النظري والعملي وهذه الأنواع كثيرة لا تعد ولا تحصى فأبرزها: العدل، الصدق، الأمانة، احترام الغير، التقوى، الصبر، العفة، مساعدة الآخرين، الوفاء، الإخلاص، سلامة الصدر من الأحقاد.

وفيما يلي بيان لهذه الأنواع ، ولكن بإيجاز يغني عن التفصيل :

(١)الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، ص ١٠٢.

١-هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط . وقيل : العدل – مصدر بمعنى "العدالة "؛ وهوالاعتدال والاستقامة ، وهو الميل إلى الحق [١].

فالعدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه وهو قيمة فردية واجتماعية فهو قيمة فردية فذلك لأنه يدل على مزاج ذاتي خاص عند الإنسان العادل.

وهو فضيلة اجتماعية فمن حيث مراعاة هذه القيمة لحقوق الغير ومن هنا ذهب أرسطو إلى أن (العدالة) لما كانت تهم المجتمع المدني فإنها فضيلة بالنسبة إلى الغير، وليست فضيلة مطلقة[٢].

ويذهب ابن مسكويه إلى أن (العدالة) يحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبداً الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً ثم الإنصاف من غيره، ويندرج تحت (العدالة) فضائل كثيرة: الصداقة والألفة، صلة الرحم، والمكافأة، حسن الشركة، حسن القضاء، التودد، العبادة، ترك الحق، مكافأة الشر بالخير، استعمال اللطف، ركوب المروءة في جميع الأحوال، ترك المعاداة، ترك الشر في كسب الحياة، الرجوع إلى الله وإلى عهده وميثاقه وكل قول يتلفظ به، وإلى غيره ذلك مما يندرج تحته[٣].

فالعدل إذن: هو الإنصاف وإعطاء صاحب الحق حقه والابتعاد عن الظلم. وللعدل فوائد وآثار عظيمة تعود على الأفراد والمجتمع ككل ومن أهمها: رفع الظلم عن الأشخاص وتعزيز ثقتهم بأنفسهم وبالآخرين كما يخلق حالة من الطمأنينة والشعور بالراحة لديهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن قيام الناس بالعدل والقسط كان من الأهداف الرئيسية لإرسال الرسل عليهم السلام حيث يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك:

(١) انظر التعريفات ، للجرجاني – باب: العين – فصل : الدال – ص ١٩٢.
(٢) الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ١٦٥.
(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأخلاق، للشيخ: أبي علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفي سنة ٤٢١هـ،ص١٨، المكتبة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩هـ.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

ويقول سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

٢- الصدق: وهو أن يخبر الناس بما يعتقد أنه الحق، وليس الإخبار مقصوراً على القول بل قد يكون مقصوراً على الفعل كالإشارة باليد، وهز الرأس، ونحوهما، وقد يكون بالسكون من غير قول ولا فعل، فمن ارتكب جريمة ورأى غيره يؤنب على ارتكابها ثم سكت فقد كذب(٣).

والصدق: يُعد من أهم القيم الخلقية وذلك لأنه من الأسس التي تنبني عليها المجتمعات وذلك لأنه لأبد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض ومن غير هذا التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا، ومعنى الأفهام: أن يوصل الإنسان ما في نفسه من الحقائق إلى الآخرين وهذا هو الصدق.

وقيل عن الصدق أنه يأتي على نوعين:

الأول :الصدق في الأفعال.

الثاني : الصدق في الأفكار.

وبينهما درجات (وسطى) عديدة أن: الصدق في الأفعال أوسع انتشاراً وأبسط شكلاً ،أما (الصدق في الأفكار) فمن شأن الخاصة أولاً ويتخذ صوراً عميقة دقيقة. والصدق في الأفعال: يضاده الزيف والتمويل والخداع وهذه الرذائل الأخيرة قديمة

(١) سورة الحديد، آية رقم ٢٥.
(٢) سورة النحل، آية رقم ٩٠.
(٣) الأخلاق، تاليف: احمد أمين، ص ٢٥١.

في الإنسان متاصلة في الحياة الاجتماعية بل إننا نجدها في الحيوان: فالحشرة التي تتظاهر بالموت حين الخطر، والغزال الذي يموه على مطارديه بإرغام غزال آخر على العدو معه حتى يفسد الأثر الذي يتركه في الرمل ويعمى على الصيادين كلاهما يموه ويخدع ولكنه تمويه في سبيل النجاة والمحافظة على البقاء، وهو يختلف عن الكذب المتعمد الذي يلجأ إليه الإنسان الواعي المنافق(١).

وفي الحياة الاجتماعية نجد ألواناً من التمويه والزيف في العلاقات بين الناس وكل ذلك فيما يسمى (بالأكاديب) مثل التمويه بالألقاب وبصيغ المجاملة والبروتوكول، والأساليب الدبلوماسية الملتوية وهذه الألوان من التمويه والزيف قد شاعت واتسع مجالها وتفنن الناس في أساليبها بحيث أنها صارت كأنها أمور طبيعية، تلقائية، بريئة ، والحق أن هذه الأساليب لا تعد بريئة ولكنها تكون بمثابة انعزالها على التقويم الأخلاقي(٢).

أما عن الصدق في الأفكار: فيقصد به: الأمانة في إيراد الشواهد والملاحظات والتجارب الفعلية وعدم اختراع شيء لم يره العالم أو لم يشهده الشاهد والصدق في هذه الحالة ذو قيمة عالية، وذلك بخلاف العالم الذي يقدم وقائع وهمية متخيلة على أنها معطيات ملاحظة، أو يخفي التجارب التي لا تؤيد نظرياته وكل هذا ابتغاء إقناع الناس بصحة نظريته وهذا العالم يعد على الأقل في عالم العلم يسمى المالي، الغشاش، المزيف(٣).

فالصدق هنا معناه: مطابقة الكلام للواقع والصدق يكون في كل شيء في النية أو القصد والكلام والعمل ومن أثر الصدق على الفرد أنه يبعث الهدوء النفسي والطمأنينة والبركة في الرزق والنجاة من أي مكروه ويكون موضع محبة واحترام

(١) الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ١٨٩.
(٢)الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ١٩٠.
(٣) نفسه ص١٩١.

الناس، وقد أمر الرسول (ﷺ) فعن (عبد الله بن عمر) قال: قال رسول الله (ﷺ): " عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً(١).

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله (ﷺ) قال:" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"(٢).

والحق : أن هذه النصوص النقلية الحكيمة تدل دلالة واضحة وقاطعةعلى أن الرسول (ﷺ) أمرنا "بالصدق" لأنه من أهم القيم الخلقية التي يكون لها أثر عظيم في حياة الفرد والمجتمع. ومن آثار الصدق على الفرد والمجتمع: أنه يبعث الهدوء النفسي والطمأنينة في نفس صاحبه ولدى من يتعامل معه، ويكون موضع محبة واحترام من قبل الناس ويكون الصدق سبيل للنجاة من أي مكروه.

٣- الأمانة: كثيراً ما يستعمل كلمة الأمانة، ولا يكاد استعمالها يتجاوز دائرة محدودة ترتبط بجانب حد محدود من سلوك الأفراد اليومي وخصوصاً في دائرة المعاملات المرتبطة بالمال، وهذا المعنى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأذهان العامة من المسلمين، أما الخاصة من المسلمين فيفهمون الأمانة على أن لها دلالة أعمق وأوسع وأشمل من ذلك بحيث يكون لها في كل موقع تذكر فيه دلالة ومعنى على نحو ما نشير إليه تباعاً.

ولا شك أن أرقى أنواع الأمانة هو ذلك العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على البشر وهم في أصلاب آبائهم بأن يؤمنوا بربوبيته ويعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما قال في كتابه العزيز:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج ٤، ص ٢٠١٣، رقم ٢٦٠٧.

(٢) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في ظن السوء، ج ٣، ص ٤٢٤، رقم ١٩٨٨.

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1].

وهذه الأمانة: التي خوطبنا بها يوم خرجنا من صلب آدم عليه السلام وهي أرقى أنواع الأمانات وأجلها على الإطلاق ولا يعدلها شيء آخر في الأرض، ولا في السماء، لأنها أعلى أصل من أصول الإيمان تواصى بها الرسول (ﷺ) والأنبياء عليهم السلام وسجدت من أجل متطلباتها مخلوقات الأرض والسماء، وهي طريق العزة والكرامة في الدنيا، وسبب النجاة والنعيم في الآخرة[2].

وقد أخبر الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) بربوبيته. ومن أجلها بعثت الرسل وأنزلت الكتب وجردت سيوف القتال وتحت راياتها سالت الدماء أنهاراً تروي الأرض بماء العزة والكرامة وتضرب المثل في التضحية والفداء من أجل كلمة التوحيد والإيمان بربوبيته الله (تعالى) لكل شيء في الأرض وفي السماء، والنصوص القرآنية التي تدل على إقرار الرسل جميعاً بربوبية الله عز وجل فآدم عليه السلام يقول في دعائه:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

- (ونوح عليه السلام) قال في تضرعه وشكواه:﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾[4].

(١) سورة الأعراف، آية رقم ١٧٢.
(٢) الأخلاق وقواعد السلوك في الإسلام، تأليف الستاذ: عبد العظيم منصور، لجنة التعريف بالإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، ص ٣٩.
(٣) سورة الأعراف، آية رقم ٢٣.
(٤) سورة نوح، آية رقم ٢١.

-وقال (إبراهيم عليه السلام) في دعائه:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(١).

-(ويوسف عليه السلام) في الثناء على الله سبحانه ودعائه واعترافه بربوبية الله تعالى قال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٢).

وهكذا بالنسبة لسائر الأنبياء والرسل (عليهم السلام) يعترفون بربوبية الله سبحانه وتعالى فلا رب سواه ولا معبود إلا إياه وكل الخلائق والعباد يتضرعون له سبحانه وتعالى، ولا شك أن هذه الأمانة وهي الإقرار بالربوبية والوقوف في مقام العبودية الحقة هي أعظم وأقدس مبادئ القيم الخلقية.

فالأمانة تعني: التكليف وقبول الأوامر والنواهي، ويعظم الإنسان شعائر الله فيقوم بها، ويعظم حرمات الله فلا يقربهما، والأمانة بهذا المعنى هي المعنية بالتكليف الوارد في قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٣).

ومن معاني (الأمانة) وضع كل شيء في المكان الجدير به، واللائق له فلا يسند منصب إلا لصاحبه الأحق به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليه(٤).

(١) سورة إبراهيم، آية رقم ٣٥.
(٢) سورة يوسف، آية رقم ١٠١.
(٣) سورة الأحزاب، آية رقم ٧٢.
(٤) خلق المسلم، للإمام محمد الغزالي، إشراف / داليا محمد إبراهيم، ص ٤٢،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية عشر ٢٠٠٧م .

واعتبار الولايات والأعمال العامة (أمانات) مسئولة ثابت من وجوه كثيرة: فعن (أبي ذر) ﷺ ، قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال:" يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها"[١]. وقيل في شرح الحديث: " إنك ضعيف وإنها أمانة" هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعيف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم[٢].

فإن الكفاية العلمية أو العملية ليست لازمة لصلاح النفس، فقد يكون الرجل رضي السيرة حين الإيمان، ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجاً في وظيفة معينة.

ألا ترى يوسف الصديق؟ (عليه السلام) أنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب، بل بحفظه وعمله وأمانته أيضاً كما في قوله تعالى:﴿ **قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ** ﴾[٣].

و(أبو ذر) ﷺ : لما طلب الولاية لم يره الرسول جلداً لها فحذره منها، والأمانة تقضي بأن نصطفي للأعمال أحسن الناس قياماً بها وأحسنهم خلقاً، فإذا ملنا عنه إلى غيره لهوى أو رشوة أو قرابة فقد ارتكبنا بنتيجة القادر وتوليه العاجز خيانة فادحة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ج٣، ص ١٤٥٧، رقم ١٨٢٥.
(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل (العدل) عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفي: ٢٦١هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ص ١٤٥٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٣) سورة يوسف، آية رقم ٥٥.

فقد قال الرسول (ﷺ) عن (ابن عباس)، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين"(١).

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

ومن معاني الأمانة أيضاً: أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به، وأن يستنفذ جهده في إبلاغ تمام الإحسان، أجل إنها لأمانة يمجدها الإسلام: أن يخلص الرجل لشغله وأن يعني بإجادته، وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه، فإن استهانة الفرد بما كلف به، وإن كان تافهاً، تستتبع شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها وانتشار الفساد في كيان الأمة كلها.

وذلك لأن أعظم خيانة وأسوأ عاقبة هي تولي رجل أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها.

ومن الأمانة أيضاً: ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه، لجر منفعة شخصية أو قرابة له فإن التشبع من المال العام جريمة.

حيث يقول الرسول (ﷺ):" من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً، فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة"(٢).

فالأمانة إذن: هي قيمة من أهم القيمة الخلقية وتعد فضيلة من الفضائل فهي فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل لضخامتها، فأبان أنها تثقل كاهل الوجود فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط في حقها(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المتوفي: ٤٠٥هـ، ج ٤، ص ١٠٤، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١- ١٩٩٠م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ج٣، ص ١٤٦٥، رقم ١٨٣٣، النخيط: هو الإبره.

(٣) خلق المسلم، للإمام الغزالي، ص ٤٨.

والظلم والجهل آفتان عرضتا للفطرة الأولى، وعني الإنسان بجهادهما، فلن يخلص له إيمان إلا إذا نقاه من الظلم كما في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾(١).

ولن تخلص له تقوى إلا إذا نقاها من الجهالة: فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾(٢).

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾(٣).

ففي الآية: حمل الإنسان الأمانة ونجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل، خانوا ونافقوا وأشركوا، فحق عليهم العقاب ولم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانة كما في قوله:﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(٤).

فأثر الأمانة على الأفراد هي أن تسود الثقة والطمأنينة بينهم وصيانة الحرمات والقيام بالأعمال بإتقان وإخلاص والفوز برضا الله سبحانه وتعالى فقال الرسول صلى الله عليه وسلم فعن أنس قال: ما خطبنا النبي ﷺ إلا قال:" لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"(٥).

(١) سورة الأنعام آية رقم ، ٨٢.
(٢) سورة فاطر، آية رقم ٢٨.
(٣) سورة الأحزاب، آية رقم ٧٢.
(٤) سورة الأحزاب، آية رقم ٧٣.
(٥) أخرجه مسند الإمام/ أحمد بن حنبل، باب مسند: انس بم مالك رضي الله عنه، ج ٢٠، ص ٤٢٣، رقم ١٣١٩٩.

٤- احترام الغير: هو واجب حتمي على كل فرد فلا يجوز التقليل من الآخرين ونبذهم فيقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١]. ويعني احترام الغير: تقبل الأشخاص كما هو عليه وذلك لأن احترام الغير يبني الثقة والأمان بين الناس كما يتيح للفرد أن يعبر عن نفسه دون خوف أو تردد وبذلك تسود المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع.

٥- مساعدة الآخرين: تعني التطوع بالوقت والمال والطاقة من أجل الآخرين حيث أن تقديم المساعدة للآخرين بأي شكل من الأشكال يعزز سلامة وصحة الفرد والشخص الذي يقدم هذه المساعدة يكون مثال يقتدى به لباقي الأفراد في المجتمع وتجعل الإنسان سعيداً أكثر من غيره ويعين المرء في الآخرة حيث يقول الرسول ﷺ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم الآخرة ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[٢].

٦- التقوى: هي من أعظم وأهم القيم التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المؤمن ويعني خلق التقوى: بأنه الخوف من الله تعالى باجتناب ما نهى الله تعالى عنه وإتباع ما أمر به.

والتحلي بالتقوى وصية الله تعالى للبشر الأولين منهم والآخرين فقد قال الله تبارك وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

(١) سورة الحجرات، آية رقم ١١.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب الستر على المسلم، ج ٤، ص ٣٤، رقم ١٤٢٥.
(٣) سورة الحشر، آية رقم ١٨.

ومن أثر التقوى على الفرد أنها تلين القلوب وتجنب الإنسان عن الوقوع في المعاصي والبعد والتخلي عن الرذائل ونيل رضا الله تبارك وتعالى والفوز بالجنة.

٧- الصبر: فهو من أعظم القيم التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم وهو خلق إسلامي متقدم وعدة إنسانية رفيعة يتحمل الإنسان في ظله وتحت لوائه ما في الحياة من آلام ويحقق الإنسان تحت قيادته من آمال، وما يتطلع إليه من مطامع دينية ودنيوية وهو هادئ البال ومرتاح الضمير.

فالصبر أمارة من أمارات السعادة وشيمة من شيم المؤمنين الصادقين وبه يستعان على الشدة والكروب التي تخلقها طبيعة الدنيا وتقلب أحوالها، وبه تدرك الحظوظ وتنال طيبات الحياة في رفق(١).

وما دام الصبر عدة وزاداً وسلاحاً يجب حمله على طريق الحياة يواجه به الإنسان مصاعب ومصائب الحياة كلما اعترضت طريقه فأضعفت من قدرته، فالدنيا دار عمل لا حساب، والآخرة دار حساب وجزاء وليس هناك مقولة أبلغ من قول الإمام علي ﷺ :" إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل وإتباع الهوى يصد عن الحق وأن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل"(٢).

فهذه هي الحقيقة من بين الحقائق في الحديث عن الصبر، والحقيقة الثانية: أن الدنيا هي الفرصة النادرة التي تفضل الله بها على عباده من لم يغتنمها فاته الخير كله، وحرم من السعادة كلها في حياة أخرى لا تقاس بملايين السنين لأنها الخلود؛ لذلك وبناء على هذه الحقيقة فإن نعيم الآخرة والتمتع بنعيمها وإرضاء مانح الوجود

(١) الأخلاق وقواعد السلوك في الإسلام، د/ عبد العظيم منصور، ص ٥٥، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

(٢) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، تأليف: مولانا العارف بالله الشيخ: محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي في المذهب، المتوفي في ليلة الأحد ١٢ ربيع الأول، سنة ١٣٣٢هـ، ص ٤٤٥،الطبعة التاسعة ١٣٧٢هـ .

وهو الله عز وجل لا يكون إلا بصالح الأعمال بقوة لا تعرف الضعف، وعزم لا يعرف الضجر والملل، مواجهة مصائب الدنيا ومصاعبها على اختلاف طبيعتها وتباين أشكالها من نقص في الأموال والأنفس وابتلاء في الأبناء والأجساد، وشدة في الأوجاع والأمراض، وتقلب في الأحوال من غنى إلى فقر ومن قوة إلى ضعف، وسعة ويسر إلى ضيق وشدة، لا شك أن مواجهة هذه الأزمات وغيرها يتطلب عدة وزاداً ولن تكون العدة إلا بالصبر ولن يكون الزاد إلا بالإيمان(١).

٨–العفة: وتعني: في (اللغة) ترك الشهوات من كل شيء وحفظ الفرج مما لا يحل، وهي: حصول حالة للنفس تمتنع بها غلبة الشهوة، وترك القبيح والكف والنزاهة عما لا يحل، فالعاقل من لزم العفاف عن مطامع الدنيا وشهواتها والنبيل من نزه نفسه عن المحارم والمآثم(٢).

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي(ﷺ)، أن كان يقول:" اللهم أني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى"(٣).

والعفة تشمل على مايلي :

أ–العفة في اللسان: بأن يكف لسانه عن أعراض من معه، والعفة في النظر تعني عدم الخيانة فالله عز وجل يعلم خائنة الأعين فقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾(٤).

(١) الأخلاق وقواعد السلوك في الإسلام، أ/ عبد العظيم منصور، مرجع سابق، ص ٥٦.
(٢) موسوعة الأخلاق، تأليف: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، ص ٤٢٢، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج ٤، ص ٢٠٨٧، رقم ٢٧٢١.
(٤) سورة النور، آية رقم ٣٠- ٣١.

ب-العفة في المال: والمال فتنة كما في قوله جل وعلا:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

وعن (كعب بن عياض)، قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال". هذا حديث حسن صحيح غريب(٢).

فالعفة أيضاً: تعد من القيم الخلقية التي تؤثر في حياة الفرد والمجتمع حيث أنها تعمل على ضبط النفس وتهذيبها من الوقوع في الأهواء والشهوات وطمأنينة العقل والسعادة والحرية وحفظ الصحة وتعمل على ضبط الفكر فلا تتركه يهيم في كل واد ويتجول في كل مجال كما أنها تجعل الفرد يزهد في الدنيا ويتجه نحو رضا الله تعالى وابتغاء مرضاته.

وجملة القول فيما سبق أن هذه (نماذج) من أنواع القيم الخُلقية التي لابد على كل مسلم ومسلمة أن يسعى جاهداً إلى التحلي بها حتى يستطيع الإنسان أن يعيش حياة سوية تسودها المحبة والراحة والسكينة والطمأنينة وأيضاً كسب رضا الله سبحانه وتعالى لينعكس هذا الرضا في حياته بالتوفيق وتيسير الحاجات والفوز بنعيم الجنة.

هذا وبالإضافة إلى أن أهمية (القيم الخُلقية) في حياة الفرد والمجتمع تظهر في أن هذه القيم وضعت أساساً لتوجيه الفرد نحو الخير والصلاح وتسعى لتطهير النفوس البشرية وحمايتها من الشرور والآثام، وتعين الفرد على تحديد السلوك الملائم في المواقف الطارئة لذلك كانت هذه القيم تؤثر بشكل رئيسي ومباشر على شخصية الفرد وتوجهاته كما أنها تعمل على وقاية الفرد من التردد والاضطراب وتقيه من الأمراض والصراعات النفسية.

(١) سورة الأنفال، آية رقم ٢٨.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، ج ٤، ص ٥٦٩، رقم ٢٣٣٦.

ثالثا: أثر الإيمان باليوم الآخر في ((ترسيخ القيم الأخلاقية في الإسلام)):

مما سبق يتضح لنا أن (القيم الخُلقية) لها مكانة عظيمة ومرموقة في الدين الإسلامي وذلك لأن مصدرها من الوحي الإلهي المعصوم ولم تترك لأهواء البشر. كما حث عليها (الكتاب والسنة النبوية الشريفة) على الالتزام بها، كما وحذرت من الأخلاق السيئة ووضعت لها كثير من العقوبات والجزاءات، ومن هذه القيم كونت الشخصية الإنسانية بصفة خاصة والمجتمع البشري عامة التي يلتزم وتتحلى دائماً بالأخلاق الحسنة ويجني ثمار ذلك في الدنيا والآخرة.

ولذلك كان أيضاً الإيمان (باليوم الآخر) له تأثير قوي على أن يلتزم الفرد بهذه القيم والمبادئ الخلقية.

والإيمان باليوم الآخر يكون عاملاً مؤثراً قوياً ومحفراً وفعالاً جداً في دفع كل فرد مؤمن إلى فعل الخير والالتزام به فإنه حافز محرك ودافع وحارس ورقيب يصاحب الإنسان الذي يملك وعيه مصاحبة دائمة فهو معه في جميع أوقاته وفي جميع أحواله إذا كان بين الناس وإذا كان في خلواته وإذا كان منكشفاً في الأضواء أو مستتراً في الظلمات، وحيث يظن أنه لا يراقبه أحد وحيث تراقبه رقابة قانونية بشرية ولا تمتد إليه سلطة قضائية ولا تردعه هيئة اجتماعية(١).

فالإيمان باليوم الآخر يُمثل الجذر الرئيسي لإصلاح الإنسان، لأن الإنسان متى أيقن بالله تعالى حق اليقين كان ذلك له الأثر على التزام الإنسان في أقواله وأفعاله وتقويم سلوكه وتهذيب أخلاقه ولعل هذا الأثر يكمن في يلي :

١- تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى: فهذا هو الأثر الأول في القيم الخلقية والتزام الإنسان بها حيث أنه توجه الإنسان دائماً إلى فعل الخير وهذه القيم تجعل الإنسان صادقاً في معاملاته وممارساته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية ومتعاوناً على البر والتقوي وليس ذلك فقط بل تصل إلى أعماق نفسه

(١) المرجع السابق، ٢٠٣.

فتغرس فيها رهافة في الحس وشفافية في الذوق والضمير[١]. كما تحقق القيم الخلقية الإسلامية أهداف التربية الإسلامية وتحقيق غاياتها.

٢- ضبط وتقويم أخلاق الفرد والجماعة: الإيمان بالله واليوم الآخر يعمل على ضبط السلوك وتقويم الأخلاق وتهذيبها وذلك عن طريق تنمية القيم والمبادئ الخلقية لدى الفرد والمجتمع لأنها ترتقي بالإنسان وتعتبر المعيار الذي تتحدد على أساسه أهداف النظم الاجتماعية وأغراضها وغاياتها القصوى أي أنها توفر معايير وموازين يعرض عليها السلوك العمل والسلوك فيقاس به مدى قربه أو بعده عن الفضيلة والرذيلة وبذلك تكون مرجعاً للفرد والجماعة ليحكموا بها على سلوكهم[٢].

٣- بناء مجتمع كامل: الالتزام بالقيم الأخلاقية لها أثر قوي على بناء مجتمع فاضل ومتكامل وبناء حضارة إسلامية إنسانية تعمل على التقدم والرقي في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الفنية وغيرها[٣].

وهذه التوجيهات الاقتصادية تشمل النهي عن البخل والإسراف والتبذير، والأمر بالصدق والأمانة والعدل، والتوجيهات العسكرية بالأمر بخلق الطاعة والشجاعة والنهي عن الخوف والجبن أمام الأعداء، وتوجيهات صحية بالأمر بالطهارة والنظافة، والبعد عن الفواحش والاعتدال في أمور المعيشة والطعام وغيرها من القيم الخلقية التي تعمل على بناء حضارة إسلامية ومجتمع متكامل يتجه نحو الخير والصلاح.

٤- تحقيق السعادة والشعور بالأمان: جاء اهتمام الإسلام الحكيم بالأخلاق لأنها أمر لابد منه لدوام الحياة الاجتماعية ولتحقيق الإنسان للسعادة وشعوره بالسرور

---

(١) القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر: تأليف: عبد المجيد بن مسعود، ص ١٣٠،كتاب الأمة الدوحة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٩هـ .

(٢) الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام، تأليف: د/ محمود السيد سلطان، ص ٩٥، دار: الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د/ سعيد إسماعيل القاضي، ص ٨٧، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٢هـ.

والطمأنينة لابد له من نظام خلقي لكي يسعد به في الدنيا والآخرة، ويحقق له حاجاته النفسية والاجتماعية ليصبح إنسان سوي ومتكامل، والسعادة تعد نتيجة لهذا التكامل ونعني به (التكامل في بناء الذات عن طريق إقامة الوحدة والاتساق بين الميول المختلفة وتوجيهها توجيه صحيح في الحياة ولابد من وجود الوحدة كذلك في ذات المجتمع وهي ضرورة لازمة في بناء الفرد والمجتمع؛ لأن لا يمكن أن يعيش الإنسان متكاملاً بذاته إذا كان المجتمع الذي يعيش فيه مفككاً وفاسداً، ولا يمكن أن يشعر الفرد بالسعادة المطلوبة مهما كان بناؤه الشخصي سليماً طالما كان المجتمع الذي يعيش فيه مجتمعاً مريضاً فلابد من تحقيق التكامل في متطلبات الإنسان لأنه هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق السعادة والرخاء والرفاهية والحضارة(١).

فالأخلاق الحسنة هي:سبب من أسباب دخول الجنة وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أبي هريرة (ﷺ) قال: سُئل رسول الله ﷺ عن "أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: تقوى الله وحُسن الخُلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج"(٢).

والحق : أن الرسول (ﷺ) حينما قال : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، فقد جاء برسالة سمحة عظيمة تناشد العقل والفطرة، وتسمو بالغرائز وترقيها وتعلوبها ، فهي رسالة عالمية شاملة تدعو إلى التحلى بالفضائل والتخلى بالرذائل ، وتحث الأعمال الطيبة الطاهرة النقية ، وتعلن مبادئ العدل والإخاء والحرية والمساواة ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتخرج الناس من عبادة المخلوقات إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده ،ومن ظلام الجهل والشرك والكفر إلى نور الإيمان واليقين الصادق الخالص ومن شوائب الشرك وأدران الوثنية ، إلى الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى وحده لاشريك له .

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، مرجع سابق، ص ٩٧، ٩٨.
(٢) سنن الترمذي، أبواب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في حسن الخلق، ج ٣، ص ٤٣١، رقم ٢٠٠٤.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج وهي على النحو التالي :

١- ثبت من خلال البحث أن خصائص القيم الإسلامية تقوم على مبدأ (التوحيد)، باعتباره النواة التي تتجمع حولها اتجاهات المسلم وسلوكياته، حتى يصل لأهدافه، وبهذا تجعل لحياة الإنسان معنى ووظيفة.

٢- أعطى الإسلام العظيم قيمة للمجتمع وقرر حقوقاً له بناء على تلك القيمة ثم اقام التنسيق بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع بحيث لا يطغى حق أحدهما على حق الآخر ، وبذلك لم يجعل الفرد مجرد وسيلة في يد المجتمع أو آلة تقاس قيمتها بقيمة إنتاجها كما فعلت بعض النظم الاجتماعية.

٣- ثبت أن الحافز الذاتي الذي يولده الإيمان باليوم الآخر قوة فوق كل القوى فإنه يقبض على زمام العقل بالحق والبرهان من الله ويقبض على ناصية القلب بعاطفة محبة الله وابتغاء رضاه والثقة بحكمته ويقبض على زمام النفس بعاملي الخوف من عقاب الله والطمع في ثوابه العظيم.

٤- إن الإيمان (باليوم الآخر) يؤدي إلى الالتزام "بالقيم والأخلاق" وهما طريقان موصلان إلى أعلى قمة في السعادة الدنيوية والأخروية. وبناء على ذلك فقد تهدف القيم الخلقية إلى بناء شخصية مسلمة متكاملة متوازنة تمتلك قواعد تنظيمية تضبط بها سلوكياتها، كما تهدف إلى حفظ نشاط الفرد والجماعة متناسقاً وموجهاً نحو غاية سامية وكل هذه الأمور تثمر السعادة الأبدية وقيام حضارة إنسانية فاضلة.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**
- العمدة في فلسفة القيم، د/ عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام (دراسة مقارنة)، تأليف: مقداد بالجن، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م، مكتبة الخانجي بمصر.
- الأخلاق وقواعد السلوك في الإسلام، د/ عبد العظيم منصور، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
- أسس الفلسفة، د/ توفيق الطويل، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية .
- أصول التربية الإسلامية، د/ سعيد إسماعيل القاضي، ص ٨٧، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٢هـ.
- المعجم الفلسفى، دعبدالمنعم الحنفى،الطبعة الأولى،١٤١٠ه – ١٩٩٠م ،الدار الشرقية ، القاهرة .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفي ٦٨٥هـ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام، تأليف: د/ محمود السيد سلطان، ص ٩٥، دار: الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١م.
- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

• التعريفات ، للجرجانى ، تحقيق وتعليق ، د٠عبدالرحمن عميرة، باب الألف، فصل النون ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٧ه–١٩٨٧م.

• تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، تأليف: مولانا العارف بالله الشيخ: محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي في المذهب، المتوفي في ليلة الأحد ١٢ ربيع الأول، سنة ١٣٣٢هـ، الطبعة التاسعة ١٣٧٢هـ .

• تهذيب الأخلاق وتطهير الأخلاق، للشيخ: أبي علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفي سنة ٤٢١هـ، المكتبة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩هـ.

• جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

• خلق المسلم، للإمام محمد الغزالي، إشراف / داليا محمد إبراهيم،،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية عشر ٢٠٠٧م .

• دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تأليف: د/ عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، د/ سعيد إسماعيل علي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار الفكر العربي، القاهرة.

• دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تأليف: د/ عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، د/ سعيد إسماعيل علي .

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفي: ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

• فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، د/ عزت السيد أحمد ، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٥.

• القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفي: ٨١٧هـ، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

• القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر: تأليف: عبد المجيد بن مسعود، كتاب الأمة الدوحة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٩هـ .

• القيم التربوية القرآنية والحديث النبوي الشريف، د/ قاسم محمد محمود الخزعلي، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، العدد خمسة وعشرون .

• القيم الخاصة لدى المبدعين، محيي الدين أحمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

• محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتأخرين، للإمام فخر الدين الرازي راجعه وقدم له: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

• المختصر،د.خلف الجراد، الطبعة الأولى ، سنة (١٤٢٨ه،٢٠٠٧م)، مطبعة /مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

• المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المتوفي: ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١- ١٩٩٠م.

• المسند الصحيح المختصر ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفي: ٢٦١هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

• موسوعة الأخلاق، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف

• موسوعة الأخلاق، تأليف: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

• نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة .